قطاع الثقافة

[illegible]

سعيد العيلى

مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

من
لآلىء السنة

سعيد العيلى

الغلاف والاخراج الفنى :

مجـــدى حجــازى

المقدمة

أخى المسلم أختى المسلمة ، نحمد المولى سبحانه وتعالى على ان أنعم علينا بدينه وقوانا بيقينه وشرفنا بقرآنه ، ونورنا ببيانه ، ونصلى جميعا على من أنشق له القمر ، وسبح فى كفه الحصى والحجر، ونسال المولى القدير دوام العون والمدد وكمال السداد والتوفيق ـ وبعد .

إن شريعة الإسلام التى تنبنى على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هى شريعة سهلة سمحة ، وقد حوت العقيدة السليمة التى تناسب الفطرة البشرية ، لامتيازها بالوضوح والبساطة وخلوها من التعقيد .

فقيم الكتاب والسنة ، ضبطت سلوك الفرد وكبحت جماح الانسان ونظمت له علاقته مع الله عز شانه بواسطة العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ، ومن قبل بواسطة الإيمان بالله سبحانه وبالملائكة . والكتب المنزلة والرسل والانبياء واليوم الآخر والقضاء والقدر .

ونظمت شريعة الإسلام علاقة الانسان مع أخيه الانسان فى نطاق الاسرة ابا وأما واخا واختا وابنا وبنتا ، ثم المجتمع الكبير ثم المجتمع الاكبر ، وبينت له فى كل منها حقوقه وواجباته ودائرته وحدوده ، وكفلت له حريته كى يحيا حياة آمنة مطمئنة فى حدود الشرع القويم .

وجاءت السنة النبوية المطهرة لتزود المسلم بالعقيدة السليمة، والقيم القويمة ، وتمده بأجمل الاخلاق وأحلى الشمائل ، وأرق الصفات واصفاها مما يحدو المسلم بصدق رفيق وعزيمة حاسمة لتعزيز نزعة السلام والامان في نفسه وذويه ، وفيمن حوله إلى المجتمع البشرى ، فالمسلم هو .. من سلم المسلمون من لسانه ويده والمسلم هو الذى ينشر ويلقى السلام على من عرف ومن لم يعرف محققا بسلوكه وقيمه معنى الإسلام . إسلام الوجه والأمر إلى الله تعالى وسلام مع الكون كله .

من أجل هذا ايها الاحباب اقدم هذا الكتاب ، جليسا فى الوحدة، انيسا فى الوحشة ، موجبا للسلوى ، صاحبا فى الخلوة ، رفيقا فى السفر ، نديما فى البدو والحضر .

وأرجو أن يكون لكل حبيب جارا بارا ، وصديقا سارا واستاذا خاضعا ، ومعلما متواضعا ، يضئ طريق المؤمنين ويذلل سبيل المتقين ، ويسترشد به كل من احب النبى الأمين ﷺ ، فاهتدى إلى صراط الله المستقيم .

سعيد العيلى

تدوين السنة

لقد اكتفى الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه بان يحفظ أصحابه أحاديثه الشريفة ، ولم يأمرهم بكتابتها كى لا يشق عليهم ذلك وفيهم أميون ، وقد روى عن ابى سعيد الخدرى انه قال ـ قال رسول ﷺ « لا تكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

فبناء على هذا اتجه كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلى عدم كتابة الحديث ، بيد أن البعض استأذن الرسول ﷺ فى

كتـابته فاذن لـه لأنه كان كاتبـا قارئا مثل عـبد الله بن عـمرو بن العاص ، كما أن البعض استأذنه ﷺ خوفا من النسيان فأذن له .

وقد ادرك الصـحابة رضوان الله عليـهم بعد ذلك أهمـية السنة وأنها الاصل الثـانى للتشريع وتوضـيح الأحكام ، وكان المصطفى الهادى ﷺ يشجعهم على حفظها ، فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال « نضَّـرالله امـرأ سمع مـقـالتى فـحفظها ووعاها وأدَّاها ، فرُبَّ حامل فقة إلى مَنْ هو أفقة منه » .

وعن ابن عباس رضـى الله عنه قال ـ قال رسول الله ﷺ « اللهم ارحم خلفائى ، قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال الذين يروون احاديثى ويعلمونها للناس » وقد روى الامام البخارى انه ﷺ قال « بلغـوا عنى ولو آية » قال المظهـرى أى بلغوا عنى أحـاديثى ولو كانت قليلة » .

وقال سـفيان الـثورى طيب الله ثراه « لا اعلم علمـا افضل من علم الحديث لمن اراد به وجـه الله تعالى ، ان الناس يحتاجـون اليه حـتى فى طعامـهم وشـرابهم فـهو افـضل من التطوع بالصـلاة والصوم لأنه فرض كفاية .

وأصبح الصحابة الكرام بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الاعلى حريصـين على كتابة مـا حفظوه من الاحاديث النبـوية ، بل كانوا يقطعون المسافات البعيدة فى سـبيل سماع الاحاديث ممن حفظها عن الرسول الأميـن ﷺ ، وكان فى مقدمة من يسـافرون من اجل سماع الاحاديث عبد الله بن عـباس وجابر بن عبد الله ، ويروى أن ابن عـبـاس كـان يذهب فى اليـوم الشـديـد الرياح إلى بيت أحـد الصـحابـة فيـجـده نائما فـلا يوقظه ، بل يـنام هو على بابه إلى الصباح فيـخرج الصحابى فيراه فـيقول له « يا ابن عم رسول الله لم لم ترسل لى وانـا اتيك ؟ فـيقـول له « انا اعلـم ذلك ولكنى انا

الذى اسعى اليك لانى اريد ان احمل عنك حديث رسول الله ﷺ .

وبهـذا تكون السنة النبوية المطهـرة قد بدأ تدويـنها فى عـصر الرسـول ﷺ ثم زاد فى عهـد الصـحابة ، ثم زاد اكـثـر فى عهـد التابعين .

وكتاب الاحاديث النبوية الشريفة ستة وهم المشهورون :

١ – الامام البخـارى ولد سنة ١٩٤ هجرية وتوفى سنة ٢٥٦ هجرية .

٢ – الامـام مـسلم ولد سنة ٢٠٥ هـجـرية وتوفى سنة ٢٦١ هجرية .

٣ – الامام ابو داود ولد سنة ٢٠٢ هجـرية وتوفى سنة ٢٧٥ هجرية .

٤ – الامام التـرمذى ولد سنة ٢٠٩ هجـرية وتوفى سنة ٢٧٩ هجرية .

٥ – الامام الـنسائى ولد سنة ٢٥١ هجـرية وتوفى سنة ٣٠٣ هجرية .

٦ – الامام ابن ماجـة ولد سنة ٢٠٩ هجرية وتوفى سنة ٢٦٣ هجرية .

ونستطيع أن نقول ان الغالبية العظمى من السنة قد تم تدوينها فى القرن الثالث ، واكـمل البقية القليلة الباقـية أهل القرنين الرابع والخامس الهجرى ومن جاء بعدهم .

السنة هى المصـدر الثـانى
من مصادر التشريع الإسلامى

السنة لغة : هى الطريقة التى يسلكها الـناس ويعتادون عليها . أمـا إذا قـيـل السنة النبـويـة المطهـرة ، فـهى اقـوال الرسـول الهادى ﷺ وافعاله وتقريراته « أى ما اقـر عليه محدثه أو جليسه

بالقول أو بالصمت والسكوت ، ثم صفاته الخلقية والخُلُقية .

والسنة النبوية المطهـرة هى المصدر الثانىَ للتشـريع الاسلامى بعد كتاب الله عز وجل وهو القرآن الكَريم الذى انزله الحق تباركت اسمـاؤه على سيدنا مـحمد ﷺ مـعجزا بلفظه ، مـتعبـدا بتلاوته ، منقولا بالتـواتر المفيد للقطع واليقـين ، والمدون فى المصاحف من اول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس .

والسنة عند علماء الفقه : هى ما طلب فعله لا على جهة الواجب او ما اثيب على فعله ولم يعاقب على تركه .

امـا عند علماء الاصـول : فالسـنة هى ما صـدر عن المصطفى الهادى صلوات الله وتسليماته عليـه من قول أو فعل أو تقرير من جهة دلالته على احكام الشريعة الإسلامية الغراء .

والسنة عند علـماء الحـديث : هى اقـوال الرسـول الامـين ﷺ وافعاله وتقريراته سواء صدرت عنه باعـتباره رسولا أم باعتباره انسانا ثم صفاته الخلقية والخُلُقية .

ومن امثلة اقـوالهَ ﷺ « المسلم اخو المسلم لا يظلمـه ولا يخذله ولا يحقره » .

ومن امثله افعاله عليه الصلوات والتسليمات « انه توضأ فغسل يديه ثلاثا ، ثم تمضمـض ثلاثا ثم استنشق ثلاثا ثم غسل وجـهه ثالثـا ثم غسل يديه إلى المرفـقـين ثلاثا ، ثم مسح راسـه ثلاثا ثم غسل رجليـه ثلاثا » عن عثمان بن عـفان رضى الله عنه وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه .

اما تقريراته ﷺ ، فمن امثلتـه انه عليه الصلاة والسلام ارسل احد اصحابه إلى جمـاعة من الناس يدعوهم إلى الإسلام فارسلوا إليه رجلا منهم يخبره قـائلا « لقد جاءنا رجل فزعم انك تزعم ان الله ارسلك إلى الخلق كـافة » فـاجابه الرسـول ﷺ بتصـديق من ارسله .

وعن ابن عمر رضـى الله عنهما انه قال « كنا على عـهد رسول الله ﷺ نقـول : افضل الامـة بعد نبـيها ابـو بكر وعمـر وعثـمان والنبى ﷺ يسـمع ولا ينكر ذلك ولا يـعتـرض » وهذا اقـرار عن طريق السكوت .

أما اوصـافه الخلقـية ، فهى انـه كان ﷺ قوى البنيـة مفـتول الاعـضاء مـعتـدل القامـة ، متـوسط الطول أبيض اللون مشـربا بالحمرة ، مستقيم المشية ينحدر كأنما ينحط من صبب .

أما أوصـافه الخُلُقية : فـهى لا تعد ولا تحصى ، فقـد كان ﷺ صادقا امينا شجاعا كريما صابرا عفـيفا حييا مهابا جميل الطبع ، حلو المنطق والحديث ، وضيئا بساما ، صفوحا مقداما صلوات الله وسلامه عليه .

ولقـد كان رسـول الله ﷺ يرشـد الناس بكلمـاته وينصحـهم بسنته، ويدعوهم إلى الاقتداء به بسلوكه وعمله ويقول صلوات الله وتسليـماته عليـه « ألا إنى اوتيت الكتاب ومـثلة معـه ، ألا يوشك رجل شـبعـان متكئ عـلى اريكة يقول عليـكم بهذا القـرآن ، فمـا وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجـدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » .

وقد وصف الجاحظ حديث النبى ﷺ فقـال فى البيان والتبيين « هو الكلام الذى قل عـدد حروفه ، وكـثر عـدد معانـيه وجل عن الصنعة ونزه عن الـتكلف ، استعـمل المبسوط فى مـوضع البسط والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهـجين السـوقى ، فلم ينطق إلا عن مـيراث حكمـة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصـمة ، وشد بالتأييد ويسـر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذى القى الله المحبـة عليه وغـشاه بالقبـول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافـهام وقله عدد الكلام ، وهو مع استغنائه عن اعادته وقلة الحاجة إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة،

ولازلت له قدم ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خـصـم ، ولا افحمه خطيب ، بل يبـز الخطـب الطوال بالكلام القـصـيـر ، ولا يلتـمس اسكات الخصم إلا بمع يعـرفه الخصم ، لا يحـتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج « أى الفوز والظفر » إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستـعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمـز ، ولا يبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لم يســمع الناس بكلام قط اعلم نفعا ، ولا اصدق لفظا ، ولا اعـدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكـرم مطلبا ولا احسن مـوقعـا ، ولا اسهل مخـرجا ولا افصـح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ .

ويصـغـه مصطفى صـادق الرافعى فـيقول « مـحكم الوضع ، جزل التركيب متناسب الاجـزاء فى تاليف الكلمات ، فخم الجملة ، واضح الصلة بين اللـفظ ومعناه ، واللـفظ وضريبـه فى التـأليف والنسق ، ثم لا ترى فـيه حـرفا مـضطربا ، ولا لفظة مـستـدعاة لمعناها أو مـستكرهة عليـه ولا كلمة غيـرها اتم منها اداء للـمعنى وتاتيا لـسره فى الاستـعمـال وهو حسن المعرض ، بيـن الجملة ، واضح التـفصـيل ، ظاهر الحدود جـيـد الرصف متـمكن المعنى ، واسع الحيلة فى تصـريفه بديع الاشارة ، غريب اللمـحة ، ناصع البيان ، ثم لا ترى فيـه احالة ولا استكراها ولا ترى اضطرابا ولا خطلا ولا استعانه من عجز ولا توسـعا من ضيق ، ولا ضعفا فى وجه من الوجوه » .

ولقد بين الحق سبحـانه وتعالى مكانه السنة النبوية من الدين فى قولـه عز شأنه ﴿ يا ايـها النبى انا ارسلناك شـاهدا ومبـشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾ .

وقـال جل وعلا ﴿ وأنـزلنا اليك الذكـر لتبـين للناس مـا نزل اليهم﴾ .

ولقد بين المصطفى الهادى صلوات الله وسلامه عليه اختصاص

السنة المطهرة بالتشـريع ، ودعا اليـه وقام بتنفـيذه ، كـما انه لا يتأتى تفسير القرآن الكريم إلا بالسنة المطهرة .

ولقـد بعث النبى الهادى ﷺ مـعاذ بن جـبل رضـى الله عنه إلى اليمن ليبصر الناس بأمـور دينهم وقال له « يا معاذ إذا عرض لك قضاء فبماذا تقضـى ؟ » قال بكتاب الله فقال له الرسول ﷺ « فإن لم تجد ؟ » قـال اقضـى بسـنة رسول الله « فقـال له ﷺ » وإن لم تجد ؟ » قال اجتهد رايى ولا آلو » .

ويفـهم من هذا الحـديث الشريف ان الانسـان إذا لم يجـد فى القرآن الكريم حلا لمسألة هامة ، فليتـجه إلى السنة يبحث فيها عن الحل . فإن لـم يجده فعليـه بالاجتـهاد فى الحـدود التى رسمـها الشـرع الحكيم فـيقـيس مـا لم يرد بقـدر ما يسـتطيع .. « ومـا توفيقى إلا بالله » .

منزلة السنة النبوية

عرفنا منزلة السنة النبـوية الشريفة من كتـاب الله تعالى وأثرا من حـيث الاستـدلال بها على الأحكـام الشرعـية تلى الكتـاب فى المرتبة.

فتـعالـوا بنا نتعـرف سويا أيهـا الاخوة على السنة من حـيث ماورد فيها من الأحكام الشرعية وأنها تنقسم من هذه الناحية إلى ثلاثة أقسام :

سنة مـقـررة ومـؤكـدة لما ورد فى القـرآن الـكريم من أحكام كالأحاديث الدالة علـى الأمر بإقامة الصلاة وإيتـاء الزكاة وصوم رمضان والحج وغـير ذلك فيكون للحكم الشرعـى دليلان، الكتاب إثباتا والسنة تقريرا وتوكيدا.

وسنة شـارحة لمعانى نصوص القرآن فتبين مجملة وتفصله.

من ذلك أن رب العزة سبحانه وتعـالى أمر بالصلاة فى القرآن

الكريم من غير بيان لمواقيتها وأركانها وعدد ركعاتها.

فـبينت السنة العـمليـة ذلك وقال رسـول الله ﷺ «صلوا كمـا رأيتمونى أصلي».

وورد فى الكتاب وجوب الحج من غير بيان لمناسكه.

فبينت السنة ذلك وقال ﷺ «خذوا عنى مناسككم ».

وورد فى القرآن وجـوب الزكاة من غير بيان لمـا تجب فيه ولا مقدار ما يجب.

ففصلت السنة ذلك.

كما أن السنة النبـوية الشريفة تأتى لتخـصص لفظا عاما ورد فى كتاب الله.

ففى قـوله تعالى ﴿يوصـيكم الله فى أولادكم للذكـر مثل حظ الأنثيين﴾ فكان هذا الحكم عاما فى كل أب مورث وكل ولد وارث.

وتأتى السنة فتخـصص المورث بغير الأنبيـاء لقول رسـول الله ﷺ «نحن معـاشر الأنبيـاء لانورث ـ ما تركناه صدقـة» وخصت الوارث بغير القاتل بقوله ﷺ «لا يرث القاتل».

كما تأتى السنة النبـوية فتقيد المطلق فى كتـاب الله، ففى قوله تعالى «وليطوفوا بالبيت العتيق» يوجب الطواف مطلقا.

ولكن السنة الفعلية قيدت الطواف بالطهارة.

وفى قوله تعالى ﴿والسارق والسارقـة فاقطعوا أيديهما﴾ فإن قطع اليد لم يقيد فى الآية بموضع خاص.

وهنا تأتى السنة فتقيده بأن يكون القطع من الرسـغ.

وفى قوله سبـحانه «من بعد وصيـة يوصى بها أو دين» أورد الوصية مطلقة.

ولكن السنة النبوية قيدتها بعدم الزيادة على الثلث.

وتأتى السنة النبوية الشريفة لتثبت أحكاما لم يرد بشأنها نص من الكتـاب مثل توريث الجدة الصـحيـحة السـدس وتحريم لبس

الحرير على الرجـال وغير ذلك من الأحكـام الشرعيـة التى دليلها السنة ولم يرد فى الكتاب نص بشأنها.

ولما كان رسول الله ﷺ هو المبين لكتاب الله تعالى ، وطاعة الله لا تتحقق إلا إذا كان العمل مطابقا لهذا البيان.

لذلك أمر رب العزة بطاعة رسوله مع طاعته.

بسم الله الرحمن الرحيم «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول».

بسم الله الرحمن الرحيم «من يطع الرسول فقد أطاع الله».

صدق الله العظيم

راحة القلب
فى صدق الحديث

قال الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه : «إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » .

جاء رسول الله (ﷺ) لهداية البشرية بأقواله وأفعاله وأحواله، يخاطب القلوب لله وينير العقول ، ويحرر الضمائر فى سهولة ويسر .

قال رسول الله (ﷺ) (بعثت بالحنيفية السمحة) ولذلك بعث الهادى البشير ﷺ إلى الناس كافة ، أبيضهم وأسودهم العربى منهم وغير العربى . بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

كما جاء ذكره (ﷺ) فى كتب الأنبياء من قبله ، فبشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته (ﷺ) موجودة فى كتبهم ، يعرفها علماؤهم ويعلمها أحبارهم .

روى ابن جرير عن عطاء بن يسـار قال لقيت عبـدالله بن عمرو فقلت أخـبرنـى عن صـفة رسول الله (ﷺ) فى التـوراة قال أجل والله إنه لموصوف فى التـوراة كصفته فى القـرآن : ﴿ ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومـبشرا ونـذيرا ﴾ حرزا للأميين أنت عـبدى ورسولى اسـمك المتوكل ، ليس بـفظ ولا غليظ ، ولن يقبـضه الله حـتى يقيـم به الملة العوجـاء بأن يقـولوا لا إله إلا الله ، ويفـتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا » .

ولهذا جـاءت السنة النبويـة الشريفة قـريبة من العـقل السليم تتمشى مع الفطرة المعتدلة ، فى سماحة عاقلة ويسر قدسى .

قال عليه أفـضل الصلوات وأتم التسليمات لمـعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعـرى عندما بعثهـما لليمن « بشرا ولا تنـفرا ، ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تخالفا » .

وقال (ﷺ) « رفع عن أمـتى الخطأ والنسيان ومـا استكرهوا عليه » .

بسم الله الرحـمن الرحـيم : ﴿ ربـنا لا تؤاخـذنا إن نسـينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصـرا كما حملتـه على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (البقرة : ٢٨٦)

طاعة الرسول

روى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » .

جاء رسول الله (ﷺ) بالهدى ودين الحق ، فاخرج الناس من الظلمات إلى النور وهداهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وجاء (ﷺ) بالمبادىء السامية ، والأخلاق الراقية فحول المجتمع الجاهلى إلى خير أمة أخرجت للناس تؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وفى هذا كل الفلاح وغاية النجاح فآيات الله يتلوها ، وكتاب الله يعلمه ، والحكمة التى أنزلها الله على قلبه (ﷺ) يعظ بها .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾

(آل عمران : ١٦٤)

ولهذا افترض رب العزة سبحانه وتعالى طاعة رسوله (ﷺ) وحتم على الناس اتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه كما جعل

سبحانه الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به فمن أطاعه وآمن به أطاع الله وآمن به .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ (النساء : ٨٠)

وما ذاك إلا لأنه (ﷺ) ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى .

ولذلك ينفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمن لا يرضى بحكم رسول الله (ﷺ) فيقول فى كتابه العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (النساء : ٦٥)

ويبين رب العزة جل شأنه منزلة من يطع الرسول (ﷺ) فى قرآنه المبين وما أعد لهم من كرامة وفضل ورفقة طيبة .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ (النساء : ٦٩ ، ٧٠) .

كما يعرض لنا القرآن الكريم صورة لمن يعصى الرسول (ﷺ) يوم القيامة وما يلاقونه من مقت الله وعذابه .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ﴾
(النساء : ٤١ ، ٤٢)

قال سيدنا رسول الله (ﷺ) « من أطاعنى دخل الجنة ومن

عصاني دخل النار » .

روى الإمام مـالك بن أنس عن أبى سـعيـد الخدري قـال : قال رسـول الله (ﷺ) : « إنَّ أهْلُ الجنة ليـتـراءون أهل الغرف كـمـا تراءون الكوكب الـدرى الغـابر في الأفق من المشـرق أو المغـرب لتـفاضل مـا بينهم : « قـالوا يا رسول الله تـلك منازل الأنبيـاء لا يبلغهـا غيرهـم ـ قـال « بلى والذي نفسي بيـده ـ رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

الفقه فى الدين

عن معاوية أنه قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

يسوق رسول الله (ﷺ) فى حديثه الشريف بشرى عظيمة لكل من تفقه فى دينه ، بأن الله تعالى قد أراد به الخير الكامل .

ذلك لأن إرادة الخير من الله تعالى للعبد معينة له على التفقه فى الدين .

والتفقه فى الدين هو فهم أصوله وفروعه ، قال الحسن البصرى الفقيه هو الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة ، البصير بأمور دينه ، المداوم على عبادة ربه .

قال رسول الله (ﷺ) « مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة » .

ولقد كان النبى (ﷺ) يعطى كل واحد من العلم ما يليق به ، وقد أعلم (ﷺ) أصحابه أنه لم يفضل فى قسمة ما أوحى الله

إليه أحدا على الآخر .

بل سوى (ﷺ) فى البلاغ وعدل فى القسمة .

ونعرف من الحديث الشريف ، أن من أراد الله به الخير زاد له فى فهمه فى أمور الشرع ، فلا يتعرض لأمر على وفق خاطره .

فالأمر كله لله تعالى ، هو الذى يعطى ويمنع ، ويزيد وينقص .

والرسول (ﷺ) قاسم بأمر الله ليس بمعط حتى تنسب إليه الزيادة والنقصان .

ويسوق الرسول (ﷺ) بشرى للمسلمين عامة ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

أى مازال المتمسكون بسنة المصطفى (ﷺ) قائمين مستمرين على الدين الحق والتكاليف الشرعية .

منهم المقاتلون وفيهم الفقهاء ومنهم المحدثون وفيهم العلماء والزهاد والعباد إلى غير ذلك .

فمادام فى أمة الإسلام من يتمسك بشريعة الله تعالى ويسير على هدى النبى (ﷺ) لا يضرهم من حاد عن الطريق ، ونأى عن طريق الحق واتبع نفسه هواها .

لأن الحق مؤيد من الله الحق ، بقوة ربانية لا تقهر أبدا .

فمازال الحق عاليا حتى يأتى أمر الله يوم القيامة ، ويومئذ يفصل رب العزة سبحانه وتعالى بين العباد فيما هم فيه يختلفون فيحق الحق ويبطل الباطل ويكون الفوز للحق وأهله .

تقويم اللسان

عن الإمام السبط الحسن بن على رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ)
قال « رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم » .

يدعو رسول الله (ﷺ) فى حديثه المبارك لكل عبد يقوم لسانه فلا يستعمله فى كل ما يعهد له ، بل لا ينطق إلا حقا ، ولا يقول إلا صدقا ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يبذل النصيحة ويشيع الخير والسلام فلا يستخدم لسانه إلا فى خير وإلا فالسكوت أولى وأسلم .

فلا ينجو المرء من شر لسانه إلا بتقييده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غوائله فى عاجله وآجله .

واللسان عضو لا تعب فى أطلاقه ، ولا مؤنة فى تحريكه فإذا ترك بغير تقويم الدين والفضيلة ، كان له فى الشر مجال رحب وفى ميدان المعصية نشاط وافر .

وحصيلة نطق الإنسان محسوبة عليه كما قال رب العزة سبحانه فى محكم التنزيل : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب

عـتيـد ﴾ (ق : ١٨) وقال الهـادى البـشيـر (ﷺ) : « ولا يكب الناس فى النار إلا حصائد السنتهم » .

فإذا وجد المرء خيرا تكلم به وإلا فالسكوت أولى وأنفع .

روى أن عقبة بن عامر قـال : قلت يا رسول الله ما النجاة . قال « امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك » .

وقال (ﷺ) لا يسـتقـيم إيمان العبـد حتى يسـتقيم قـلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .

ومن القرآن الحكيم نعرف أن الكلمة الطيبـة صدقة يباركها الله وينميها .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبـة أصلها ثابت وفرعـها فى السمـاء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ .

﴿ ومثل كلمة خـبيثة كشـجرة خبيثة اجـتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾ (إبراهيم : ٢٦) .

ولقـد فـضل السكوت لما فيه من جـمع الهـمم ودوام الوقـار والفراغ للفكر والذكـر والعبادة ، والسـلامة من تبعـات القول فى الدنيا وحسابه فى الآخرة .

قال الهادى البشير (ﷺ) « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذى يذكر الله تعـالى ، والسالم الساكت ، والشاحب الذى يخوض فى الباطل » .

راحة القلب علامة الإيمان

قال رسول الله (ﷺ) : « إن النور إذا دخل القلب انشـرح له الصدر وانفـتح ، قيل يا رسـول الله ، هل لذلك من علامـة يعرف بها ؟ قال نعم ، التـجافى عن دار الغرور ، والإنـابة إلى دار الخلود ، والاسـتعداد للموت قبل نزوله » .

عند ذلك أيها المؤمـنون ، تموت شهوات العـبد ، وتذهب دواعى نفسه فلا تأمره بسوء ، والا تطالبه بارتكاب منهى عنه ، ولا يكون همـه إلا المسارعـة إلى الخيـرات ، والمبادرة إلى اغـتنام الساعـات والأوقات وذلك لاستشعاره حلول الأجل ، وفوات صالح العمل .

روى أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال بينا رسول الله (ﷺ) يمشى إذا استقبله شاب من الأنصار فقال له النبى (ﷺ) : «كيف أصبـحت يا حارثة » فقال أصـبحت مؤمنا بالله حقـا ، قال انظروا فإن لكل قول حقـيقة « فقال يا رسول الله عـزفت نفسى عن الدنيا فـأسهـرت ليلى وأظمأت نهارى ، فكأنى بعـرش ربى بارزا وكأنى انظر إلى أهل الجنة يتـزاورون فيـها ، وكـأنى أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها فـقال (ﷺ) « أبصرت فالزم ، عبد نور الله الإيمان

فى قلبه » قال يا رسول الله ادع الله لى بالشهادة ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنودى يوما فى الخيل ، يا خيل الله اركبى فكان أول فارس ركب ، وأول فارس استشهد ، فبلغ أمه ذلك فجاءت إلى رسول الله (ﷺ) فقالت له « يا رسول الله ، أخبرنى عن ابنى حارثة ، فإن يك فى الجنة فلن أبكى ولن أجزع وإن يك غير ذلك بكيت ما عشت فى الدنيا فقال (ﷺ) : « يا أم حارثة إنها ليست بجنة ، ولكنها جنة فى جنات وحارثة فى الفردوس الأعلى » فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة) وروى أنس (رضى الله عنه) أن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) دخل على رسول الله (ﷺ) وهو يبكى فقا له « كيف اصبحت يا معاذ » قال اصبحت بالله مؤمنا ، قال النبى (ﷺ) «إن لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟ قال يا نبى الله ما اصبحت صباحا قط إلا ظننت أن لا أمسى وما أمسيت مساء قط إلا ظننت ألا اصبح ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أن لا أتبعها أخرى ، وكأنى ، أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها ، معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله ، وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار ، وثواب أهل الجنة . قال (ﷺ) « عرفت فالزم » .

قال شاعر مؤمن :

ولقد أجاب معبر عن حالهم
فاسمع مقالا صادقا مقبولا
إن الألى ماتوا على دين الهدي
وجدوا المنية منهلا معسولا

فضل الجمعة في السنة

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » .

ينبهنا النبى ﷺ فى الحديث المبارك إلى أهمية يوم الجمعة ، فهو يوم التجليات الإلهية ، والإكرامات الربانية ، يتجلى رب العزة سبحانه فيه على عباده ، فيهديهم بأنواره ، ويشملهم ، بنعمائه وأسراره ، عيد أسبوعى للمسلمين فى شتى بقاع الدنيا ، ليشعروا بوحدتهم وقوتهم ويتدارسوا أمورهم وشئون حياتهم .

شرع الله فيه صلاة الجمعة وجعلها شعارا عمليا لوحدة المسلمين وائتلافهم ومظهرا من مظاهر عبادة الله ، وتكبيره وحمده ، يتجهون إلى قبلة واحدة يناجون ربهم بمناجاة واحدة «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » (الفاتحة).

وذلك امتثالا لأمر الله تعالى فى قرآنه المبين ﴿ يا أيها الذين

آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الجمعة آية ١٠)

هكذا يأمر الخلاق العليم إذا سمعنا آذان الصلاة أن نسرع إليها، ونحرص عليها ، ونترك ما يشغلنا من أمور دنيانا ، ونلجأ إلى الله بالذكر والدعاء والحمد والرجاء ، والقرب والصلاة ، فذلك أفضل وأعود بالخيرات والبركات علينا .

فإذا قضيت صلاة الجمعة تفرقنا فى الأرض سعيا وكسبا ، كفاحا وعملا نبتغي من الله فضلا ورزقا ، وكرما ومنحا ، كل ذلك فى إطار من ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، والروح والوجدان ، فهو الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، ورزق وأعطى وبارك وأنمى، فالصلاة له مقدمة على كل شيء وهى أفضل من كل شيء.

ويحذر النبى ﷺ من ترك الجمعة فيقول « من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه » .

وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ (المنافقون آية ٩).

وباجتماع الجمعة أيها المؤمنون تتكون منا الوحدة العابدة فلا تختلف بنا السبل ولا تتشعب بنا الطرق شأن أهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

حبيب الرحمن

عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « إن الله تعالى يحب العبد التقى الغنى الخفى » .

حب الله سبحانه وتعالى لعبده يتمثل أيها الأحباب فى رضاه عنه وتوفيقه له فى طاعته ، ومده بعونه وشموله بعنايته ورعايته وحفظه واختصاصه بفضله والثناء عليه عند ملائكته .

ولقد بين لنا رب العزة سبحانه وتعالى فى قرآنه المبين أى أصناف العباد يحب فقال جل شأنه فى سور عدة : ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ (البقرة آل عمران) .

وقال سبحانه : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ (آل عمران والتوبة).

وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ البقرة) .

وقال فى سورة المائدة والحجرات والممتحنة : ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ .

ونجد أيها المؤمنون ، أن الحديث الشريف قد أجمل ما جاء فى الآيات المباركات فى العبد التقى الغنى الخفى .

فالتقى ، هو من يمتثل لأوامر الله تعالى ، ويسير فى طاعته ويجتنب ما نهى عنه ، وينبذ ما حرم الله ، فيعبد ربه خوفا وطمعا.

هو من يراقب الله فى كل شىء ، فى أقواله وأفعاله وأحواله .

أما الغنى ، فليس المقصود به من يقتنى الأموال ويكنز الذهب والفضة ويمتلك الكثير من متاع الدنيا .

إنما الغنى المقصود فى الحديث ، صاحب النفس الأبية العفيفة، القانع الراضى بما قسم الله له ، الذى لا يجعل لنهم النفس وشهواتها عليه سبيلا .

يؤيد هذا ما جاء رواية عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » .

وغنى النفس يترفع بها عن كل ما يدنسها ويحط من شأنها وقدرها ، فهو يزكيها دائما باتباع دينه ، وصدق يقينه ، وينأى بها عن مرذول شهواتها ، وسفاسف غوايتها واتباع هواها فيصدق فيه قول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾ .

والخفى ، هو الصادق فى عبادته ، الصادق فى سلوكه ابتغاء مرضاة الله ، لا يرائى أحدا فى سلوكه مع ربه ، ولا يحب أن يراه غيره فهو معه أينما كان ، ومن حظى بالمعية الإلهية لم يبال بأحد سواه بل ولا يحب أن يقطع عليه أحد ما هو فيه من جلال وجمال، ولذة ووصال .

فلنعمل على أن نكون منهم فنفوز بسعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

السعداء بالشفاعة

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله (ﷺ) : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه » .

يسأل أبو هريرة (رضى الله عنه) النبى الكريم عن أولى الناس بشفاعته يوم القيامة وأحقهم بها .

فيرد نبى الله (ﷺ) رد الأستاذ المعلم ، الذى يشعر كل سائل بأنه يؤثره بعلمه فيقول لقد ظننت ألا يسألنى عن هذا أحد أسبق منك يا أبا هريرة .

ذلك لما رآه من حرصه (رضى الله عنه) أى حفظه ووعيه له .

ويؤخذ من الحديث الشريف أنه ينبغى للعالم أن يتفرس فى حال المتعلم ويدقق النظر فى كل واحد ويعطيه مقدار وعيه .

وينبهه على حرصه وشدة وعيه ليكون باعثا له على الاجتهاد فى العلم .

وفيه دلالة على أن العالم يجب عليه الا يكتم علمه ، فإذا سئل عليه البيان .

وعلى الطالب أن يسأل ـ قال تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

فإذا كتم العالم ما عنده كان آثما .

وشفاعة النبى (ﷺ) ثابتة فى أحاديث كثيرة . قال صلوات الله وسلامه عليه فى حديث شريف : « وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى يوم القيامة » . ومن تشمله هذه الشفاعة المحمدية نال سعادة كبيرة .. ويحدد رسول الله (ﷺ) من يسعد بشفاعته . فهو (من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) . كلمة التوحيد ، وهى حق الله تعالى على عباده . يعبدونه ولا يشركون به شيئا .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ .

وقال رسول الله (ﷺ) فيما رواه أنس (رضى الله عنه) إذا قال العبد المؤمن لا إله إلا الله . صعدت إلى السماء حتى تقف بين يدى الله تعالى ؛ فيقول اسكنى ، فتقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلى ؟ فيقول : « ما أجرينك على لسانه إلا وقد غفرت له » .

ويؤكد الرسول (ﷺ) فى الحديث الشريف أن شفاعته إنما تكون لمن نطق بالتوحيد لسانه ، وأيقن به قلبه ، وأذعنت وصدقت به نفسه .

أهل البيت

روى الإمام احمد أن رسول الله (ﷺ) قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال«إنّى أوشك أنْ أدعى. فاجيب، وإنّى تاركٌ فيكم الثَّقلين كتاب الله ، حبلٌ ممْدُودٌ من الأرض إلى السّماء، وعَترتى أهل بيتى، وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحَوْضَ يوم القيامة ، فانظروا بم تخلفونى فيهما »

يرشدنا رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف إلى طريقى السعادة فى الدنيا والآخرة ، طريق القرآن ، هو الصراط المستقيم، والنور المبين وحبل الله المتين ، هو الفصل ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء .

قال رسول الله (ﷺ) فى حديث شريف : « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم » .

والطريق الثانى هو آل البيت الكرام ، بالسير على نهجهم ، والنسج على منوالهم ، لأنهم من أوائل من طبقوا هذا الدين ، ونهلوا من موارد الهدى ومنابع الحق المبين ، تربوا فى بيت النبوة

، وترعرعوا فى حـوزة الرسالة فكانوا في الدين أئمة ، وفى الحق أقوياء ، وفى الكفاح قادة ، وفى الجهـاد أبطالا وفى الكرم اسخياء ، والبذل كرماء ، وفى العلم مصابيح ، وللخير مفاتيح .

والسادة أهل البيت لم يقف مـيراثهم من سيد المرسلين (ﷺ) عند مـيراث الدم الطاهر باعـتـبارهم ذريتـه ، بل إن ميـراث الدم ورثهم خصاله الشريفة من الحفاظ على الدين ، والغيرة على مجد الإسلام ، وعلى كل ما فـيه النفع العام للمؤمنين مهـما كلفهم ذلك من تضـحية وفداء .

وليس فى تاريخ البشرية كلهـا أسرة بذلت من أرواح أهلها فى سبيل العقـيدة وحقوق الأمة الإسلاميـة كما بذل آل البيت الكرام ، كذلك لم يعـرف فى تاريخ البشـرية أسرة أنجبت من أئمـة الهدى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حسبة لله كما أنجب آل البيت ـ قال الفرزدق :

إن عـد أهل التـقى كـانوا أئمـتـهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

أهل القرآن

قال رسول الله (ﷺ) فيما رواه أنس (رضى الله عنه) « إن لله أهلين من الناس ، قالوا من هم .. يارسول الله ؟ قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته».

المقصود بهذا الحديث المبارك ، هم حفظة القرآن العظيم والعاملون به ، والسائرون على هديه ، أولئك هم أولياء الله، المختصون به ، وهؤلاء هم أهل الله وخاصته وليس من أهله من حفظ لفظه ، وضيع حدوده ، واشترى بآياته ثمنا قليلا .

سئل ذو النون المصرى (رضى الله عنه) عن حملة القرآن ، فقال هم الذين مطرت عليهم سحائب الأشجان ، ونصبوا ركبهم والأبدان وتسربلوا بالخوف والأحزان ، وشربوا بكأس اليقين وراضوا أنفسهم رياضة المتقين ، كحلوا أبصارهم بالسهر وغضوها عن النظر ، فقاموا ليلهم أرقا ، وتبادرت دموعهم فرقا ، حتى ضنيت منهم الأبدان ، وتغيرت منهم الألوان صحبوا القرآن بأبدان ناحلة ، وشفاه ذابلة ، ودموع وابلة وزفرات قاتلة ، فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين وشغلهم عن مطامع الراغبين ، ففاضت عبراتهم من وعيده وشابت ذوائبهم من تحذيره ﴿ أولئك الذين

هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ .

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ، فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما تزور البيت العتيق » .

إن القرآن العظيم ينبوع العلوم ومنشؤها ومعدن المعارف ومبدؤها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسه ، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراف على معانيه ، لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه ، ولا يطمع فى حقائقها ، التى لا منتهى لغرائبها ودقائقها ، إلا بعد العلم بأصول قراءته وقواعد تلاوته ، وليس معنى هذا أنه تحرم قراءته إلا على المتخصص ، فإن كل مسلم مكلف بقراءة القرآن ، وبحفظه والعمل به والرسول (ﷺ) يقول فيما روته أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران .. وعلى هذا فإن كل مسلم مدعو لهذه المائدة النورانية ليأخذ منها ما يقيم روحه بين الأرواح الطاهرة ، وينير قلبه بين القلوب المضيئة .

قال ابن الصلاح : قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك ، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الأنس .

أهل الحب

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن سيد الكونين ﷺ قال : « إذا أحب الله عبدا نادى جبريل ، إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى أهل الأرض » .

الحديث يفيد أن حب الله لعبده هو منتهى القبول له والرضا عنه ، وهو بعد ذلك محل لحب الملائكة والناس أجمعين . وحب الله يقتضى إنزال فيوضاته عليه ، وإحلال تجلياته فى قلبه فيصبح العبد نورانيا بل ربانيا .

يقول النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت بصره الذى يبصر به وسمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها » فأكرم بها من منزلة ، وما أعظمها من درجة :

وحب الملائكة للعبد تعنى استغفارهم له وأنسهم به ، يحفونه بدعائهم ، ويسألون له خير الدنيا والأخرة . فحبهم قبس من حب ربهم . ومحبة الناس له تفيد ركونهم إليه وإرادة الخير له ودفع

الشر والأذى عنه وقديما قالوا : إن السنة الخلق أقلام الحق .

ولقد أوضح رسول الله ﷺ الطريق إلى حب الله والوسائل التى توصل إليه يقول الله تعالى على لسان نبيه الكريم : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ .

فالطاعة هى طريق الوصول وهى وسيلة القرب ، وسبيل الفلاح .

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار » .

وطاعة النبى عليه السلام هى طاعة الله وهى الالتزام بأوامره والوقوف عند نواهيه وذلك نهج لا غموض فيه ولا إبهام .

يقول رسول الله ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه » . والحق عند الله واحد فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (الأنعام : ١٥٣)

أما البعد عن أوامر الله ، والسير فى طريق الشيطان فإنها ترد بالعبد إلى الهاوية ، وتغوص به إلى أعماق الضلال ، ومكبكبة إلى الدرك الأسفل من النار إذ يحل به غضب مولاه وينزل عليه سخطه وعذابه والعياذ بالله . يقول الله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (النساء : ١١٥) .

على أن رضوان الله ومغفرته فى متناول التائبين والمستغفرين،

ورحمته قريب من العائدين لحظيرة الهدى وساحة الطائعين . ذلك أن الله واسع المغفرة وهو سبحانه يفرح بعبده التائب فرح الأم بلقاء وليدها الغائب عنها فلا يحرمه من بره . ولا يجرده من حبه، ولا يبعده من فضله .

﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾

(الزمر : ٥٣)

أهل الرحمة

روى أن سيدنا رسول الله ﷺ قال : « إن لله ملائكة تنادى كل يوم لولا عباد ركع ، وأطفال رضع، وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا » .

يبين لنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الشريف منزلة أصناف من الخلق عنده ، جعلهم أهلا للرحمة وسببا للنعمة .

أول هذه الأصناف « عباد ركع » وهم عباد الرحمن ، يعبدونه حق العبادة ، ويقدسونه حق التقديس لا يشركون به شيئاً ، آمنوا بدينه ، وصدقوا بيقينه ، عرفوا ربهم فتقربوا إليه ، وغمرتهم نعماؤه فتوكلوا عليه .

فعلوا ما أمرهم به ، واجتنبوا ما نهاهم عنه ، وراقبوه في السر والعلن فكان معهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

روى أبو الدرداء رضى الله عنه أن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض ، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد ﷺ لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق ، وصدق الورع وحسن النية ، وسلامة القلوب لجميع المسلمين ،

والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب ، وتواضع فى غير مذلة ، فهم خلفاء الأنبياء ، قوم اصطفاهم بقدسه ، واستخلصهم بعلمه لنفسه يدفع الله بهم المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس ، وبهم يمطرون ويرزقون ، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه .

ذكر مكى أن أكثر المفسرين فى قول الله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ (البقرة : ٢٥١) على أن المعنى - لولا أن الله يدفع بمن يصلى عمن لا يصلى ، وبمن يتقى عمن لا يتقى لأهلك الناس بذنوبهم .

وقال الثعلبى - لولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض - أى هلكت .

والصنف الثانى أيها الأحبة « أطفال رضع » فيهم فى عالم البراءة والحفظ لم يرتكبوا ذنبا ، ولم يفعلوا معصية ، فيهم تتنزل الرحمات ، وتعم الخيرات والبركات .

والصنف الثالث « بهائم رتع » تلك التى كفل الله لها الرزق ، ورفع عنها التكليف ، جعلها الله سببا لإنعامه ، وعلة لإكرامه .

ولله در الشاعر حيث قال :

لولا عباد للإله ركع وصبية من البرايا رضع
ومهملات فى الفلاة رتع صب عليكم العذاب الأوجع

أهل المكارم

قال رسول الله ﷺ « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن ، ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولاعفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » .

لقد كان العفو من ابرز صفات النبى ﷺ ، فقد نشأ عليه ، وأمر به فرغب فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ﴾ صدق الله العظيم (الاعراف ١٩٩)

ولقد سمت نفس رسول الله ﷺ كل السمو ، فارتفعت فوق الحق وفوق الانتقام وانكرت كل عاطفة دنيا ، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ البشر .

ولنا فيه ايها المؤمنون اسوة حسنة ، وقدوة طيبة ، نسير على نهجه ونتخلق بأدابه وهديه .

فسيرته ﷺ حافلة بالقيم ، زاخرة بالمثل ، وقد أوجب علينا رب العزة اتباعه حتى نكون من المفلحين .

فهذه قريش فى فتح مكة ، يعرف رسول الله ﷺ منهم من

ائتمروا به ليقتلوه ، ويعرف من عذبوه وأصحابه قبل ذلك .

يعرف منهم من قاتلوه فى بدر وفى أحد ، ومن حاصروه فى غزوة الخندق ، وأمامه كل من ألبوا عليه العرب جميعا ، ومن لو استطاعوا أن يقطعوه أربا أربا لما ونوا فى ذلك لحظة .

هؤلاء جميعا اصبحوا فى قبضته ، أمره نافذ فيهم ، وحياتهم جميعا تتعلق بكلمة من بين شفتيه ، وجنوده يومئذ الوف مدججة بالسلاح تستطيع أن تبيد قريشا فى رجع البصر .

لكن رسول الله ﷺ ليس بالذى يعرف العداوة أو يريد بها أن تقوم بين الناس كما أنه ﷺ ليس بالجبار ولا المتكبر .

لقد سألهم ﷺ ـ يا معشر قريش ـ ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال ﷺ « اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

بهذه الكلمات صدر عفو عام عن قريش ، فضرب سيدنا رسول الله ﷺ بذلك للعالم اجمع ، ولكافة الاجيال من بعده المثل الصالح فى سمو النفس وصفاء القلب ، والعفو عند المقدرة .

وكان رسول الله ﷺ فى احدى الغزوات ، فقام رجل على رأسه بالسيف وقال من يمنعك منى فقال ـ الله ـ ثم سقط السيف من يد الرجل فأخذه النبى ﷺ فقال له ـ من يمنعك منى ـ فقال كن خير آخذ ـ قال قل اشهد أن لا إله إلا الله وانى رسول الله ـ فقال لا ـ غير انى لا أقاتلك ولا اكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله ، فجاء اصحابه فقال لهم «جئتكم من عند خير الناس » .

أهل المغفرة

روى أبو داود والترمذى عن سيدنا أبى بكر وسيدنا على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم تلا قوله تعالى ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ » .

الاستغفار اظهار العبودية لله تعالى والشكر على نعمه ، ثم هو حال خشية واعظام له سبحانه وطلب العفو منه على ما بدر من العبد من ذنب وخطيئة فى اعتراف وندم ، وتوقف والم يعقبه رجوع إلى الصراط السوى وعودة إلى النهج السليم .

ونحن كبشر ، اخطاؤنا كثيرة ، وذنوبنا وفيرة ، فالنفس تجمح إلى اتباع هواها ، وتميل إلى الانحدار فى طريق غوايتها وشهواتها ما لم تقيد بمبادئ الدين والخير ، وتتحلى بآداب الإيمان والفضيلة وتسلك سبيل الهدى ، وتتبع الصراط المستقيم .

ومن لطف الله وكرمه ، وعطفه على عباده ورحمته ، أن شرع

لهم الاستغفار إذا ما اذنبوا ، فبين لهم طريقه ، وأوضح لهم سبله، وبعث الهادى البشير ﷺ فدلهم عليه ، وقادهم اليه ، وحثهم على الاستكثار منه بادئا بنفسه مع أن رب العزة جل وعلا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فعن الاغر المزنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

فالاستغفار عظيم ، وثوابه جسيم ، إذ هو التجاء إلى الخلاق العليم القادر الحكيم ، اللطيف الحليم .

والاستغفار المطلوب هو الذى يحل عقد الاصرار ، ويثبت معناه فى الجنان لا مجرد التلفظ باللسان ، فان من قال استغفر الله بلسانه ، وقلبه مصر على معصيته فان استغفاره يحتاج إلى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبائر .

والاصرار هو التسويف ، والتسويف أن يقول المرأ أتوب غدا وتلك دعوى كاذبة إذ كيف يتوب غداً وهو لا يملك الغد .

قال من لا ينطق عن الهوى ﷺ « لا توبة مع الاصرار » .

فإذا نظر العبد بتوفيق الله تعالى إلى نفسه فوجدها مشحونة بذنوب اكتسبها وسيئات اقترفها ، وانبعث منه الندم على ما فرط، وترك ما سبق مخافة عقوبة الله تعالى صدق عليه أنه تائب .

وللعبد أن يتوب ويتوب ويستغفر دوما ، فمن تاب واستغفر ثم وقع فى ذنب فعليه أن يستأنف الاستغفار والتوبة ، فهو بهذا يلازم الالحاح بباب الكريم الذى لا غافر للذنوب سواه .

قال الهادى البشير ﷺ إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

فلنجدد العهد مع الله اذن ، وليقم كل منا الآن فيتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر ربه جل وعلا ، ولنبدأ صفحة جديدة ، نبرأ فيها من الذنوب ، ونحفظها من المعاصى . قال الله تعالى ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾(طه : ٨٢)

أهل الرفق

روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى عليه مالا يعطى على العنف » وعنه ﷺ انه قال يوما « يا عائشة ارفقى فإن الله إذا اراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق » .

يضمن رسول الله ﷺ حديثيه الشريفين دعوة إلى الرفق والرأفة والعطف والرحمة ، ولا غرو فى هذا فقد بعث ﷺ رحمة للعالمين رؤوفا رحيما بالمؤمنين .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾

(التوبة : ١٢٨)

ولقد شب النبى ﷺ على هذا فامتزج رفقه طواعية وارتجالا بجميع خصاله ، وظهر ذلك فى علاقاته بالناس ولا سيما الضعفاء منهم .

بل تعدى رفقه ﷺ إلى الحيوان والطير يحنو عليه ، ويرفق به ويحيطه بشفقته ورعايته .

وقد كان ﷺ احرص الناس على جبر القلوب ، وتطييب

الخواطر وتوخى المواساة واجتناب الإساءة .

ويروى لنا انس بن مالك رضى الله عنه مدى رفق الرسول ﷺ فى معاملته فيقول « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لى اف قط ، وما قال لى لشئ صنعته لم صنعته ، ولا لشئ تركته لم تركته . »

وفى الحديث الشريف يقول ﷺ « إذ أتى أحدكم خادمه بطعام فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فلينا وله لقمة » .

وسأله رجل - يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ، فأعاد الرجل الكلام فصمت ، فلما كانت الثالثة قال ﷺ « فى كل يوم سبعين مرة » .

وقال عليه الصلوات « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلا هى اطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الارض » .

وروى أن سيدتنا عائشة رضى الله عنها ركبت بعيرا فى سفر مع النبى ﷺ فجعلت تردده يمينا وتوجهه شمالا فقال لها « ياعائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل فى شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه »

وقال لها فى حديث آخر « يا عائشة إنه من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة » .

التاجر الصدوق

قال رسول الله ﷺ « التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

التجارة مهنة شريفة سامية لما فيها من النفع للمجتمع ، وخير الناس انفعهم للناس .

وموقف التاجر دقيق وحساس ، ومهنة التجارة مجال كبير ، وميدان واسع تتبارى فيه عزائم الرجال ، ويتميز فيه الخبيث من الطيب .

فعلى التاجر أن يكون متحليا بحسن النية ، وعليه أن يتوقى الشبهات فان النبى ﷺ يقول « من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » فاذا تردد الشئ فى نظره بين الحل والحرمة أخذ بالاحوط مما يبتعد عن حمى الله ، وحمى الله كما جاء فى الحديث الصحيح محارمه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

وعليه ألا يكون من شأنه فى تجارته الحرص الشديد على الربح فى ذاته وزيادته بل يكون سمحا كريما فى بيعه وشرائه ومقاصاته .

والرسول الكريم ﷺ يقول « بارك الله لرجل سمح إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » .

وعليه أن يكون امينا صادقا فى تجارته لا يخون عملاءه ، ولا يخون شريكه إذا كان له شريك ، ففى الحديث القدسى يقول الله تعالى : « انا ثالث الشريكين ما لم يخن احدهما الآخر ، فإذا خانه خرجت من بينهما » .

وعلى التاجر ألا تلهيه تجارته عن ذكر الله وعن الصلاة والزكاة، وخوف الآخرة ليكون له الجزاء الأوفى .

قال سبحانه ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (النور) .

قال ابن خلدون فى شأن التاجر « فإن كان جريئا على الخصومة بصيرا بالحسبان ، شديد المماحكة ، مقداما على الحكام ، كان ذلك اقرب إلى النهضة بجراءته منهم ومماحكته لهم، وإلا فلابد له من جاه يدرع به ، يوقع له الهيبة عند الباعة ، ويحمل الحكام على انصافه من معامليه ، فيحصل له بذلك النصفة طوعا فى الاول وكرها فى الثانى » .

هذه أحاديث رسول الله ﷺ بين ايدينا تنير لنا طريق الحياة وتبصرنا بسبل العيش الكريم ، فلنعمل بها حتى نسعد بدنيا هانئة وأخرى خالدة .

عمار المساجد

روى الامـام مسلـم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحـداهما تحط خطيئـة والأخرى ترفع درجة » .

يرغـبنا النبى الكريم ﷺ ، فى قـصد المـساجـد لأداء الصلوات وخاصة المفـروضة فالمساجد بيـوت الله فى الأرض ، ولا يقصدها إلا مؤمن .

بسم الله الرحمن الرحـيم ﴿ إنما يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الاخر ﴾

والهدف أن يصلى الناس لربهم فى جماعة متماسكة ، توحدهم فريضة واحدة يؤدونهـا بكيفية واحدة من ركوع وسـجود وقيام وقعـود مما يفيدهم فى حـياتهم فيتـعودون الجمـاعة فى كل شئ ويكون المسلمون على قلب رجل واحد .

قال رسـول الله ﷺ صلاة الرجل فى جماعـة تزيد على صلاته فى بيـته وصلاتـه فى سوقـه بضعـا وعشرين درجـة ، وذلك أن احدهم إذا توضـا فاحسـن الوضـوء ، ثم أتى المسجد لا ينهزه (أى لا يدفعه » إلا الصـلاة فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط

عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان فى الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه والملائكة يصلون على احدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه مالم يحدث فيه » هذا ما أخبر به النبى ﷺ .

وقال أبو ادريس الخولانى « المساجد مجالس الكرام من الناس».

وقال ابن المسيب رضى الله عنه من جلس فى مسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا .

وقد وصف رب العزة سبحانه وتعالى عمار المساجد فى قوله ﴿ فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (النور) .

والاحاديث النبوية الشريفة فى فضل عمار المساجد كثيرة ، يبين لنا فيها رسول الله ﷺ ما اعده الله لقصاد مساجده من ثواب عظيم وأجر كريم .

قال صلوات الله وسلامه عليه « من غدا إلى المسجد أو راح أعلى الله له نزلا فى الجنة كلما غدا أو راح » .

وروى ابو داود عن ابى امامة أن رسول الله ﷺ قال « من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين».

ووصى أبو الدرداء ابنه فقال له : ليكن المسجد بيتك ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن المساجد بيوت المتقين ، ومن كانت المساجد بيته ضمن الله تعالى له الروح والراحة والجواز على الصراط » .

حـق الأم

قال رسول الله ﷺ « الجنة تحت اقدام الأمهات ».

يؤكد المصطفى الهادى صلوات الله وسلامه عليه ضروره البر بالأم ، لأنها هى التى حملت وتحملت آلام الحمل ومشقته ، ثم وضعت وتحملت آلام الوضع وشدائده ثم أرضعت وسهرت وبذلت من جهدها وجسدها الكثير لتغذى طفلها حتى يكبر ويترعرع .

فما يكون الجزاء أقل من البر بها ، والحق سبحانه وتعالى يقول ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾ (لقمان).

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدو إلا أياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبير احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . وقل رب ارحمها كما ربيانى صغيرا ﴾ (الاسراء) .

هكذا يتنزل الامر الالهى بالاحسان بالوالدين ، برا بهما ، وعطفا عليهما ورعاية لهما فى وقت يحتاجان فيه إلى الرعاية والعطف .

ويروى أن رجلا جاء إلى الرسول الأمـين ﷺ فقال : يا رسول الله من احق الناس بحسن صـحابتى ؟ قال امك قـال ثم من ؟ قال امك قال ثم من ؟ قال امك قال ثم من ؟ قال أبوك » .

هكذا كـرر الأم ثلاث مـرات وذكـر الأب مرة واحـدة ، لرفـيع منزلتها وجلال قدرها ، وجزاء لها على ما لاقت من شدة ومرض، وعنت ومشقة وضعف وارهاق ، كل ذلك فى سبيل الابناء .

فالأم هى التى تضفى الحنان على الصغير وترضعه وتلاغيه ، وترعاه وتواليـه حتى يشب عن الطوق ، ثم يكبـر وينمو مشـمولا برعايتها ملاحظا بشفقتهاوعنايتها .

والأم عمـاد البيت وأسـاسه ، إن كانت صـالحة أنشـأت أسرة صـالحة نافـعـة ولذا وجب الاهتمـام بتـربية الـفتـاة التى هى ام المستقبل ، ومنشئة الاجيال يقول شوقى رحمة الله :

والام مدرسة إذا اعددتها   اعددت شعبا طيب الاعراق

وتاريخنا الإسلامى يزخر بأمهات مثـاليات كتبت لهن صفحات خالدات تنير للأمهات إلى يوم القيامة طريق الحياة النافعة الطيبة ، أولهن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليـهن ، وسيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله تعـالى عنهـا ، وأسمـاء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنها وغيرهن كثيرات .

ولقد روى أن المصطفى الهـادى صلوات الله وسلامه عليـه مر على قـبـر أمه يومـا فـبكى حـتى أبكى من حـوله حنانا منه وبرا وعبرة .

وجعل رضـوان الله تعالى تحت أقـدام الامهـات ، فمن أراد أن يدخل الجنة وينعم فيـها برضوان الله ، فليضع نفـسه تحت اقدام امـه ، يخدمـهـا اذا ضعـفت ويسـاندها اذا عـجزت ويـعينهـا اذا احتاجت، ويبرها ويقف بجانبها فى أعز مخلوق لديه ، واحبهم اليه

واشفـقهم عليه ، والابن البـار ينعم بعطف امه حـتى يسدد بعض ما سلف ، فهى الـتى احنت إليـه وأضنت نفسها حـتى صار شابا ثم رجـلا ، أو شـابة ثم امـــرأة ، وما أجـمل مـجـتمع الإسـلام ، يزرع الوفاء بين ابنـائـه ، فيعـرف الصغـير للكبيـر قدره ويؤدى إليه حقه .

حق الأبناء

عن ابن عمر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أبر ؟ فقال : « بر والديك » فقال : فليس لى والدان ، فقال : بر ولدك ، كما أن لوالديك عليك حقا ، كذلك لولدك عليك حق » .

وهكذا يقرر نبى الرحمة حقوق الابناء على الآباء بعد ان بين حقوق الآباء على الأبناء .

فالأبناء على آبائهم حق كفالتهم وحمايتهم ، والمحافظة عليهم ، والنفقة عليهم ، وتعليمهم وتاديبهم وتوجيههم إلى بلوغ سن الرشد ، إن كانوا ذكورا ، وإلى الزواج بالنسبة للبنات . يقول الله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ .

وهكذا كفل الله سبحانه وتعالى رزق الابناء قبل رزق الاباءحتى يطمئن هؤلاء ولا يضيقوا بأولئك .

ومن حقوق الابناء على الآباء احاطتهم بعطفهم وشمولهم بشفقتهم روى عن النبى ﷺ « انه بينما هو يصلى بالناس ، إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد ، فاطال السجود بالناس

حتى ظنوا أنه قد حدث أمر ، فلما قضى صلاته قالوا : قد اطلت السجود يا رسول الله ،حتى ظننا انه قد حدث امر فقال : « إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن اعجله حتى يقضى حاجته » كما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب لأحد عماله كتاب توليته . وقبل أن يسلمه إليه دخل أحد ابناء امير المؤمنين فأخذ عمر يداعبه ويقبله فقال الوالى : يا امير المؤمنين إن لى عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم فقال عمر : وما ذنبى ان الرحمة لم تدخل إلى قلبك ومزق كتاب توليته .

ومن حقوق الابناء التسوية بينهم فى العطية فلا يفرق بين واحد وآخر تبرئة لنفوسهم من الحقد وبعدا بها عن الضغينة يقول النبى ﷺ « ساووا بين اولادكم فى العطية » كما قرر الإسلام للأبناء حقوقهم فى الميراث فلا يحرم ولا يضار ولا يميز احدهم على حساب الآخر يقول الله تعالى ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ .

وعلى الآباء موالاه ابنائهم بالتأديب ، فمن حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه . قال انس رضى الله عنه : قال النبى ﷺ« الغلام يعق عنه يوم السابع ، ويماط عنه الاذنى ، فاذا بلغ ست سنين ادب ، فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة ، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة .

تلك هى حقوق الابناء على الآباء تثبتا لدعائم الاسرة وتأكيدا لاواصر القربى وغرسا لبذور الحب والالفة . يروى ان معاوية بن

ابى سفيان ارسل إلى الاحنف بن قيس فلما وصل إليه قال له يا ابا بحر ما تقول فى الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فاذا طلبوا فأعطيهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا ، فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك . فقال له معاوية : « انت يا احنف لقد دخلت على وانا مملوء غضباً وغيظا على يزيد . فلما تزل حتى رضيت عن يزيد » .

حق الزوجة

عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه أنه قال : «قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت » .

يضع الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الشريف منهاجا قويما ، وسبيلا مستقيما يسلكه كل زوج مع زوجه ، فيعرف حقوقها ليؤديها ، ومسئولياته فيوفيها .

أولهما التكفل بالاطعام كما يطعم هو ، والمشاركة فى الاكل تزيد الالفة وتقوى المودة ، وتزرع العطف والتراحم .

هذا بين الناس عامة ، وهو بين الأزواج أشد ، إذ يتم التعاون وفق سنة الحياة ، فالزوج منوط بالتكاليف ، والزوجة تعد الطعام وتقدمه ، ويشترك الاثنان فى حياة اسرية يسودها الوئام والتفاهم .

وكذلك الملبس ، فالزوج منوط به ، سترا لزوجته ، وحفاظا عليها حتى تظهر فى مجالها وهى جديرة بالانتساب إليه ، فى عفة وفضيلة واحترام ووقار .

وليس معنى هذا أن تكلف الزوجة زوجها مالا تطيقه امكانياته،

بل يوجب الشــرع ذلك فى حدود المعـقـول والمستطاع ، نائيـا عن التفريط والافراط .

كما أن على الزوج أن لا يفتر أو يبخل ، بل يتم كل ذلك فى جو من التفاهم الواعى ، والتقدير الحكيم .

وينهى النبى ﷺ الزوج عن ضرب وجه الزوجـة ، فهو اشرف موضع فى جسم الانسان ، وقد جمع معظم الحواس ، وهو عنوان ودليل على قـدرة الله الخـالق البارئ ، بما أودع فـيـه من سمـات الجمال وهو صفحة تنعكس عليها أحاسيس الانسان .

« ولا يقبح » أى لا تقل قـبحك الله ، أو مـا أقبح هذا الخلق ، أو شكلك هذا قبيح فإن ذم الصنعة ذم لصانعها جل وعلا .

ولا تهجـر « أى عند النشور إلا فى البـيت ، ولا تترك كلامـها عند حاجتها » .

تلكم حـقـوق الزوجـة على زوجهـا يبـينهـا لنا أشـرف الخلق صلوات الله وسـلامه عليـه ، لتقـوم الحياة الـزوجية علـى اساس وطيد من المودة والتـراحم حتى ياخذ كل من الزوجين نفـسه على افعـال حمـيدة ، واكـتسـاب شيم شـريفة وحـسن الخلق ، وبذل للمعروف ، وكف للاذى ، وطلاقة الوجه ، واظهـار المحبة المتبادلة، والصبر على التعليم والنصح والارشاد ، والتفاهم والتقدير .

كل ذلك فى حـد التـعاون ، وحب الخـيـر ، والايثار والبـذل ، والتفانى فى ارسـاء القيم الفاضلة والمبادئ الرشيدة ، مبادئ الدين والعلم والإيمان فيكون كل طرف فى خير الآخر .

قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » .

الشباب

عن ابى سليمان مالك بن الحارث رضى الله عنه قال : « أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقا، فظن انا قد اشتقنا اهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال ارجعوا إلى اهليكم فاقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا فى حين كذا وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم احدكم وليؤمكم أكبركم » .

وزاد البخارى رضى الله عنه فى رواية له « وصلوا كما رايتمونى اصلى » .

نعرف من الحديث الشريف ، كيف كان الشباب يقبل على العلم من منهله ، وذلك فى وقت كانت الجزيرة العربية تتخبط فى متاهات الجهالة وظلمات الفرقة والعصبية .

وكان الشباب منغمسا فى حلقات اللهو وسهرات المجون والترف.

حتى إذا بزغ نور النبوة ، وبعث رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق ، قصده ذوو الهمم العالية والنفوس الكريمة .

ومالك بن الحارث . واحد من شباب الجزيرة ، ضاقت نفسه بما كان عليه قومه من كفر وشرك ، وضلال ووثنيه .

فلجأ هو وأتراب له إلى رحاب النبى ﷺ ليـتعلموا احكام الدين وأوامـر الشرع ، ويسـيـروا على طريق الحق والنور ، الذى اخـذ رسول الله ﷺ يرشدهم إليه ، ويدلهم عليه ، ويثبتهم فيه .

ذهب ذلك الشـاب مع اقـرانه ، تتـقـارب اعـمـارهم ، وتلتـقى اهدافـهم وتتـفق مـيـولهم ، إلى رسـول الله ﷺ يطلـبـون العلم والحكمة، ويلمون بمناسك الدين واحكام الشرع .

أقاموا عند النبى ﷺ عشرين ليلة ، فغمرهم ﷺ برفقه وشملهم برحمته .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

فلقـد كـان رسـول الله ﷺ يمـثل البـشرية الـكاملة ، فى الود والرحمة ، والحب والرأفة .

ثم يامرهم ﷺ بالرجوع إلى اهـليهم بمجرد أن علم أن وراءهم أهلا يحتاجون اليهم ، كيلا تزداد مدة البعد عن غير المعقول .

يأمـرهم ﷺ بالاقـامـة بين أهليـهم ، ليـعلمـوهم مما علمـوا ، ويفقـهوهم مما فـقهوا ، ليـؤمنوا بالله تعالى وحـده لا شريك له ، ويقيموا الصلوات الخمس فى أوقاتها المحددة .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ .

ويعلمهم النبى ﷺ مبادئ الإسلام فى العبادة ، فى الصلاة .

يؤذن أحدهم إذا ما حل الوقت المعين للصلاة .

أما الامام فـأكبرهم سنا ، لأنه يكون ارجحهم عقـلا ، واكثرهم ادراكا ، واعمقهم وعيا .

وعلى هذا جـماعـة المسلمـين فى كل مكان ، حسب مـا ارسى النبى ﷺ من مبادئ ووضع من أسس ، وثبت من قواعد .

أيهـا الاحبـة حان الوقت إلى أن نعـود إلى الدين ، ونرجع إلى القرآن والنور المبين ونسير على هدى السنة .

أمانة الكلمة

يقول رسول الله ﷺ : « إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهى امانة » صدق رسول الله .

فى هذا الحديث النبوى الشريف ، يحدد لنا الهادى البشير ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أصلا من أصول الاخلاق ، التى يجب ان يتحلى بها المؤمن، وهى صيانة الأسرار وكتمانها .. فقد كان الرسول ﷺ يكتم اسرار حروبه حتى عن زوجته واصحابه .. وفى غزوة الفتح كتم الرسول امره عن زوجته عائشة وابيها الصديق رضى الله عنهما ، وقال لعائشة : « جهزينى ولا تعلنى بذلك احدا » .. ولما سار باصحابه ساله بعضهم عن وجهته فأجاب بقوله : « حيث شاء الله » .

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : إذا استطعت أن تحترس فى كتمان سرك فى حربك من تقاتل فافعل ، فإن فى ذلك امضاء تدبيرك وقطع مكيدة من يكيدك . واكفف لسانك عن فلتة كل منطق ينكشف به ما تضمر منه امرك أو تخفيه من سرك . وأعلم انه قد يستدل بلحن المنطق عن مصون السر ومكنون الضمير ، ولا تستهن فى اظهار سرك بصغير لصغره . فرب سر مصون قد

اطلعوا عليه وأذاعوه .

وصيانة أسرار الغير وكتمانها واجبة حتى عن الام والاب والصديق .. يقول انس بن مالك : اتى على رسول الله ﷺ وانا العب مع الغلمان . فسلم علينا . فبعثنى فى حاجته . فأبطأت على أمى . فلما جئت قالت : ما حسبك ؟ قلت : بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة . قالت . ما حاجته ؟ قلت : إنها سره قالت : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا . ثم قال انس بعد ذلك لصديقه ثابت بن اسلم: والله لو حدثت به احدا لحدثتك به يا ثابت .

إن كتمان السر من شمائل المؤمنين الأحرار . وقلوب العقلاء ـ كما يقول الحكماء ـ هى حصون الاسرار . لأن من ضاق قلبه اتسع لسانه بافشاء السر . وكان خائنا .

لذلك فإن رسول الله ﷺ يضع الحديث الذى يحدثك به الرجل ثم ينصرف فى مرتبة الامانة . التى يجب صونها وحفظها . وإلا كنت خائنا للأمانة . والله تعالى لا يحب الخائنين .. وإذا كان الإنسان يخون امانة صديقه بافشاء سره . فإن خيانته بافشاء اسرار وطنه وامنه تكون أعظم وأفدح . لأن البلوى بهذه الخيانة تشمل مصائر الناس جميعا .

فلتكن عقولنا دائما أسبق من السنتنا . وليحترس كل منا من لسانه .

يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته . لأنى كنت اضيق صدرا حين استودعته ذلك السر.

تربية الأبناء

قال رسـول الله ﷺ : « ما نحل والد ولـدا أفضل من ادب حسن » صدق رسول الله .

فى هذا الحـديث النبـوى الشـريف ، يضع لنا الهادى البشـير ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قاعدة من قواعـد التربية الإسلامـية ، التى يجب على الآباء والمـربين أن يلتـزمـوا بهـا لبناء أجيـال صـالحـة على الاخـلاق الفاضلة .

فما من امة تخلت عن الاخلاق والآداب فى تربية اجـيالها ، أو قلدت غيرها فى مناهج التربية القائمة على التقاليد والقيم والمبادئ الغريبة عنها ، دون أن تدب فيها عوامل الضعف .

لذلك فـقد حـرص الإسـلام على أن يؤسس النفـوس على بناء الاخلاق وعلى أن يقدم إلى الإنسانية نظرية متكاملة فى الاخلاق ، لا تتغير بتقاليد ، ولا تتناقض مع قوانين الكون والحياة .

إن المسـئولية الإسـلاميـة الأولى فى التـربية ، هى مـسئولـية الآباء.. وهذه المسئولية تطالبهم بأن يزرعوا فى نفوس ابنائهم منذ الصغر السلوك الطيب والادب الحـسن .. بالكلمة الهادية والنصح الرشيد وبالقدوة الحسنة والفعل الحميد .

هذا أفضل ما يقدمه الآباء .. وأن رسول الله ﷺ ليجعل هذا العمل أعظم أجرا من بذل الأموال والتصدق بها فى قوله الشريف: « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » .

ذلك أن التصدق بالمال هو اغاثة لحاجة بعض المحتاجين .. أما تربية الأولاد على الاخلاق والآداب فهى تأسيس هام فى البناء الاجتماعى الشامل.

ولعل أبلغ دستور للآباء والابناء فى عملية البناد التربوى الاجتماعى ، هو ما يقدمه القرآن الكريم فى موعظة لقمان لابنه :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . يا بنى اقيم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن انكر الاصوات لصوت الحمير ﴾ .

(لقمان ١٦ : ١٧ : ١٨ : ١٩)

لقد جمعت هذه الوصية الجامعة بين العقيدة والعبادة والاصلاح .. وبين الإيمان والتوحيد والاخلاق والآداب جميعا .

وعلى الآباء والمربين أن يتجهوا فى تربية الأجيال إلى كتاب الله وسنة نبيه ، ويستلهمون منهما أعظم المناهج التربوية والاخلاقية لبناء الأجيال والرجال وقد فاز من اهتدى ، وأفلح من اقتدى .

ثلاث مهلكات

قال رسول الله ﷺ « ثلاث مهلكات ـ شح مطاع وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » .

العجب صفة مذمومة ، لأنها تقف بصاحبها عن الجد والمثابرة فضلا عما بداخله بسببها من غرور وخيلاء وكبر وغطرسة .

قال سبحانه وتعالى ﴿ ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ﴾ (التوبة : ٢٥) فذكر ذلك فى معرض الانكار عليهم.

وقال رب العزة فيمن اعجبوا بأعمالهم ﴿ وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ﴾ (الكهف : ١٠٤) .

وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه قال ابن مسعود « الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب ».

وقد جمع بينهما لأن السعادة لا تنال فى الدنيا والآخرة إلا بالسعى والطلب والجد والمثابرة

والقانط لا يسعى ولا يطلب ، كما أن العجب لا يسعى لأنه يعتقد انه قد سعد وظفر : فالموجود لا يطلب ، والمحال لا يطلب ـ والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن هنا جمع بينهما .

وقد نهى رب العزة سبحانه وتعالى عن تزكية النفس وهو نوع

من العجب فقال تعالى ﴿ فلا تزكوا انفسكم ﴾ (النجم : ٣٢) .

وقيل لأم المؤمنين عائشة « رضى الله عنها » متى يكون الرجل مسيئا قالت إذا ظن انه محسن» .

والعجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه . ومن الكبر تتولد فى المرء آفات كثيرة .

والعجب يدعو إلى نسيان أخطاء الذنوب واهمالها ، فالمعجب بنفسه لا يذكر أخطاءه وذنوبه ولا يتفقدها ولا يهتم بتداركها وتلافيها.

فالعجب يعمى صاحبه عن تقصيره . ويملؤه بالغرور والثناء على نفسه وعمله وعلمه وعقله وتفكيره وذكائه وفطنته .

كل ذلك يمنعه من الاستشارة والاستناره بآراء غيره والاستفادة منهم فيستبد بنفسه ويستنكف من سؤال من هم أعلم منه وأكثر خبرة .

ولا يسمع لنصيحة ناصح ولا يأخذ بوعظ واعظ . بل ينظر إلى غيره بعين الاحتقار والجهالة فيصر على خطئه .

فإن كان هذا سلوكه فى أمور الدنيا فشل فيها ، وإن كان فى أمور الدين هلك بها وأهلك غيره ـ ومن هنا كان العجب من أخطر آفات الإنسان .

وكم حذر رسول الله ﷺ منه بل كان العجب أشد ما يخشاه على امته جاء فى حديثه الشريف « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب » .

من أجل هذا جعل رسول الله ﷺ اعجاب المرء بنفسه من أسباب هلاكه .

وبنظرة إلى الحديث الشريف نجد أن الثلاثة المهلكات مصدرها النفس البشرية ـ شح مطاع ـ وهوى متبع ، واعجاب المرأ بنفسه.

لذلك حرص الشرع الحكيم على تهذيب النفس وكبح جماحها وتوجيهها إلى ما يسمو بها لتعيش فى صفاء ، وطهر ونقاء ونور وضياء.

النفس والشيطان

عن ابن مسعـود « رضى الله عنه » أن رسول الله ﷺ قـال : ما منـكم من أحد إلا وله شـيطان ، قـالوا وأنت يا رسـول الله قال وأنا إلا أن الله أعـانني عليـه فأسلم فلا يأمر إلا بخير » .

وإنما كـان هذا لأن الشـيطان لا ينصـرف إلا بواسطة الشهوات ، فمن اعانه الله عليها حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغى وإلى الحد الذى ينبغى فشهواته لا تدعـو إلى شر ، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير .

فإذا انصرف القـلب إلى ذكر الله تعالى ومراقبـته فى كل شىء ارتحل الشيطان وضاق مجاله فيقبل الملك بإلهامه الخير.

امـا من اتبع شـيطانه وهواه فـهـو عـبد لهـواه ـ قـال تعـالى ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ .

قال عـثمان بن العـاص للنبى ﷺ يا رسول الله حـال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خترب فإذا احسسته فتعوذ بالله منه .

أيها الأخ المؤمن لا يعالج الشئ إلا بضده ، وذكر الله تعالى ضد جـميع وسـاوس الشـيطان ، وكذلك الاسـتعـاذة بالله تعـالى منه

والتبرى من الحول والقوة واثباتهما لله سبحانه .

ويستطيع ذلك كل مؤمن تقى -وقد قال رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (الأعراف : ٢٠١) .

أى أن المتقين.لا يطوف عليهم الشيطان إلا فى أوقات ضئيلة على سبيل الخلسة ولا يلبث أن يهرب .

وروى سبرة بن ابى فاكه أن رسول الله ﷺ قال « إن الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق الإسلام ، فقال اتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة وقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .

وقال تعالى ﴿ الم اعهد اليكم يا بنى ادم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴾
(يس : ٦٠ ، ٦١)

التعقل قبل الكلام

قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » .

يحذر رسول الله ﷺ من الخوض فى باطل اللغو ومنكر الحديث توقيا للوقوع فى الحرام وحتى لا يجر لغو الحديث إلى ما لا يحل الخوض من غيبة ونميمةوقذف وفسق مما يحرمه الله سبحانه . فكم من كلمة صغيرة لا يلقى قائلها إليها بالا تهدم اسرة أو تسئ سمعة أو تورث صغينة أو تولد حقدا أو تشعل حربا ، فهذه قالة السوء .

يقول ابو هريرة رضى الله عنه « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى إليها لها بالا يرفعه بها الله فى أعلى الجنة » .

ويذكر القرآن قوما سئلوا عن دخولهم جهنم ﴿ ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ (المدثر : ٤٢) ونهى رب العزة سبحانه وتعالى المؤمنين عن مجاراة الكافرين والمتقولين على القرآن والمستهزئين به ، وأمر بالابتعاد عن مجالسهم .

وإلا اعتبروا مثلهم يقول سبحانه ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا ﴾ ويقول جل شأنه ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ (النساء : ١٤٨) . ويقول جل وعلا ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ (الحج : ٣٠)

فمجالس اللهو لا تورث إلا الاثم وإن القرين بالمقارن يقتدى ، يروى أن رجلا من الانصار كان يمر بمجلس لهم فيقول : توضأوا فإن بعض ما تقولون أشر من الحدث .

أما مجالس الخير فإما أن يسمع فيها المرء ما يفيده من القول أو أن يتكلم بما يفيد الناس ، ويرفع الله بهذا القول أو ذاك درجة قائله لينعم برضوانه إلى يوم القيامة يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾

(البقرة : ٢٦٣)

فالكلمة الطيبة صدقة إذ هى تهدى إلى الخير وتدل على الحق يذكر الله سبحانه وتعالى قوما من أهل الجنة فيقول : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾

(الحج : ٢٢ ، ٢٣)

قال اتباع هدى رسول الله ﷺ بالبعد عن لغو الحديث وباطل القول فإنه لا يورث إلا ضررا . يقول ﷺ « رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه » . ويقول رب العزة عز من قائل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوما من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (الحجرات : ١٠) .

الضرب على أيدى العابثين بالجماعة

روى البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أنّ النبى ﷺ قال « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة : فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى اسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وإن اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا » .

يوضح لنا النبى ﷺ القائم على حدود الله المتمسك بها المنفذ لها والواقع فى هذه الحدود المتخبط فيها .

فأما الفريق الاول فمثلهم كمثل قوم اصابوا فى قسمتهم أعلى سفينة تسير بهم فى بحر الحياة منهم قائدها وربانها يسيطرون عليها ويوجهونها الاتجاه الصحيح وإذا غفلوا عنها ضلت مسارها أو هبطت بهم إلى الاعماق ولذلك فهم يقظون مرهفون حذرون يخافون أن تهوى بهم إلى مكان سحيق أو يدهمهم موج يكون معه الغرق والهلاك .

أما الفريق الثانى فمثلهم كمثل قوم كان نصيبهم اسفل السفينة

ليس لهم من امر القيادة والتوجيه شئ إلا انهم إذا استقوا صعدوا إلى أعلى السفينة ومروا على من فوقهم ، فظنوا انهم إنما يؤذون جيرانهم إذا أرادوا السقيا ورأوا أن يخرقوا خرقا فى السفينة يحصلون منه على الماء وهم فى ذلك إنما يتصرفون فيما يملكون ولا يعتدون على غيرهم .

وهنا يجئ دور القائمين على حدود الله فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فواجبهم أن يتصدوا لأولئك المفسدين فيأخذوا على ايديهم ويمنعوهم ان يقترفوا اثما يعود بالاذى على الجميع يقول الله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الأنفال : ٢٥) وهنا تتمثل وحدة الامة وتكافل الجماعة وتعاون المجتمع . يقول النبى ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

فإذا ما اخذ هؤلاء على يد اولئك ومنعوهم من الافساد عملا بواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر نجوا ونجوا جميعا وان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا . يقول رسول الله ﷺ « إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه » فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر باب من ابواب الخير واصل من اصول التشريع .

وقد لعن الله قوما ضاع الحق بينهم فلم يتناصحوا ولم يتذاكروا الخير يقول تعالى ﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (المائدة : ٧٨) .

يقول ابو الدرداء رضى الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم

صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم .

أما المؤمنون الحافظون لحدود الله المنفذون لأمر الله فهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليـاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (التوبة : ٧١) .

تربية الصبى

روى ابو ثرية سبرة بن معبد الجهنى « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله ﷺ : « علموا الصبى الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين» .

أمر نبوى كريم ، من الرسول ﷺ كى يتعهد كل مسلم أولاده ومن يقوم بتربيتهم ، فينشئهم نشأة اسلامية صحيحة واضعا اساليب التربية الاسلامية امام اعينهم جاعلا منهم أسسا قويمة تبنى عليها الاسرة لتكون نواة لمجتمع هو خير امة اخرجت للناس .

وأولى تلك الاسس هى ان يشب النشء على اداء ما فرض الله .

وأولى هذه الفرائض الصلاة ، أحد اركان الإسلام الخمسة .

وعلى رب الاسرة أن يأمر اولاده ذكورا واناثا باقامة الصلوات اذا ما بلغوا سن السابعة فأبناء السبع سنين يستطيعون أن ياكلوا وحدهم ويشربوا وحدهم ويتطهروا وحدهم ، وهم فى سن تمييز وإذا ما شب الصغير فى بيئة تتمسك بالدين ، ترعى قيمه ، وتنفذ تعاليمه ، انغرست تلك القيم فى نفوسهم ، وتأصلت فى سلوكهم .

وكلنا يعرف أن الطفل يقلد اباه وأمه ، وكلما كبر يسأل

ويستفسر عن كل شئ حتى إذا بلغ الثالثة والرابعة مال إلى التعليم والمعرفة .

وفى الخامسة والسادسة ترسخ معلوماته ، وتقوى حافظته ، ويحب الاعتماد على نفسه فى تنفيذ ما حصل ، وهو حينئذ يتمتع بوعى نابه وبصيرة فطرية وفى السابعة يبلغ السن التى يستطيع أن يقوم فيها بفرائض الدين وأولها الصلاة .

فعلى المرء أن يأمر أولاده أو من فى حوزته بالصلاة ، ويعلمهم الطهارة والوضوء ، ويعلمهم الصلاة ، اداءها وأوقاتها وهيئاتها وركوعها ـ وسجودها وتمامها ويظل على هذا من السابعة حتى العاشرة ثلاث سنوات للتدريب العملى حتى إذا بلغ الصبى عشر سنوات تكون الصلاة قد تأصلت فى نفسه فتمده بأسرارها فيعيش فى صلاح وتقى .

أما إذا لم يؤدها بعد هذا البرنامج الاسرى القويم ، يضرب ضربا غير مبرح مع اتقاء الوجه وابيح الضرب هنا لأن سن العاشرة يحتمله ، ومن النفوس من لا تزدجر إلا به ، لأنها تضرب بالنصح والارشاد والتعليم والتاديب عرض الحائط .

تلكم سنة الهادى البشير ﷺ قائمة فيكم ، وكتاب الله يتلى عليكم بكرة وعشيا ، فلنعمل بهما حتى ينشأ جيل قوى صالح فهى مسئولية كل منا .

ـ قال رسول الله ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

الشباب فى السنة

عن أبى سليمان مالك بن الحارث رضى الله عنه قال : « اتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقا ، فظن انا قد اشتقنا اهلنا فسألنا عمن تركنا من اهلنا ، فأخبرناه فقال ارجعوا إلى اهليكم فأقيموا فيهم ، وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا فى حين كذا وصلاة كذا فى حين كذا ، فاذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم احدكم وليؤمكم اكبركم » .

وزاد البخارى رضى الله عنه فى رواية له « وصلوا كما رايتمونى اصلى » .

نعرف من هذا الحديث الشريف ، كيف كان الشباب يقبل على العلم من منهله وذلك فى وقت كانت الجزيرة العربية تتخبط فى متاهات الجهالة والفرقة والعصبية وكان الشباب منغمسا فى حلقات اللهو وسهرات المجون والترف حتى اذا بزغ نور النبوة ، وبعث رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق ، قصده ذوو الهمم العالية والنفوس الكريمة .

ومالك بن الحارث واحد من شباب الجزيرة ، ضاقت نفسه بما

كان عليه من كفر وشرك . وضلال ووثنية .

فلجأ هو وأتراب إلى رحاب النبى ﷺ ليتعلموا احكام الدين وأوامر الشرع ، ويسيروا على طريق الحق والنور ، الذى اخذ رسول الله ﷺ يرشدهم إليه ، ويدلهم عليه ويثبتهم فيه .

ذهب ذلك الشاب مع اقرانه ، تتقارب اعمارهم ، وتلتقى اهدافهم وتتفق ميولهم إلى رسول الله ﷺ يطلبون العلم والحكمة ، ويلمون بمناسك الدين واحكام الشرع وقد اقاموا عند النبى ﷺ عشرين ليلة ، فغمرهم ﷺ برفقه وشملهم برحمته .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

ولقد كان رسول الله ﷺ يمثل البشرية الكاملة ، فى الود والرحمة ، والحب والرأفة ثم يأمرهم ﷺ بالرجوع إلى اهليهم بمجرد أن علم ان وراءهم اهلا يحتاجون اليهم لئلا تزداد مدة البعد عن غير المعقول .

يامرهم ﷺ بالاقامة بين اهليهم ليعلموهم مما علموا ، ويفقهوهم مما فقهوا . ليؤمنوا بالله تعالى وحده لا شريك له ويقيموا الصلوات الخمس فى اوقاتها المحددة .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ (النساء : ١٠٣) .

ويعلمهم النبى ﷺ مبادئ الإسلام فى العبادة وفى الصلاة يؤذن احدهم إذا ما حل الوقت المعين للصلاة أما الامام فاكبرهم سنا ، لأنه يكون ارجحهم عقلا ، واكثرهم ادراكا ، واعمقهم وعيا .

وعلى هذا جماعة المسلمين فى كل مكان ، حسب ما ارسى النبى ﷺ من مبادئ ووضع من اسس وثبت من قواعد .

أيها المؤمنون ، حان الوقت إلى أن نعود إلى الدين ، ونرجع إلى القرآن والنور المبين ونسير على هدى النبى الامين ﷺ .

طلب الحلال فريضة

قال رسول الله ﷺ « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » .

الحلال معناه أن يكون الرزق مشروعا فلا يجئ من حرام ولا يكون من سحت ولا يترتب على ظلم يقول الله تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ . ولذلك يحذر النبى ﷺ من الحرام فيقول : « كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به » .

ويحذر رب العزة سبحانه وتعالى من اكل الأموال ظلما فيقول ﴿ إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ (النساء : ١٠) .

كما ينهى عن أكل الربا فيقول جل وعلا : ﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ ويبين لنا سوء العاقبة فيقول : ﴿ فإن لم تفعلو فاذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ (البقرة : ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

والحرام مذهب للنعمة ، موجب للنقمة ، مضيع للثواب ، مؤذن بالعقاب ، فلا يطيب به رزق ، ولا تصح معه صدقة ، ولا تجوز به

قربة يقول رسول الله ﷺ :

« من اصـــاب مالا من مـــأثم فوصل به رحـما أو تصــدق به أو انفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار » .

ولذلك كان السابقون الاولون من المسلمين وصحابة رسول الله ﷺ يجهدون انفسـهم فى التحــرى عن الحلال اكلا وشرابا ولباسا وعملا ورزقــا اشفاقا من غـضب الله وتجنبا لعقابه . فـقد جاء فى بعض الاخــبار أن النبى ﷺ قــال عن ابى بكر الصــديق رضـى الله عنه : « أو مــا علمتم أن الصــديق لا يدخل جوفــه إلا طيبــا؟» كمــا يروى ان عـــمـــر بن الخطاب رضـى الله عـنه شــرب مــن لبن ابل الصدقة خطأ فادخل اصبعيه وتقيأ .

أما الحلال ففيه رضا الله وثوابه ، وفيه سعادة المؤمن .

أخوة الإسلام

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لاتحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» .

أن الحسد يقطع أوصال الأمة وينشر بذور الفرقة ويورث العداوة والبغضاء ويحل الخصام محل الوئام في الأسرة الواحدة ولذلك نهى رسول الله ﷺ عنه وحذر منه بل لقد استعاذ برب العزة سبحانه وتعالى فقال : ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ (الفلق) . والحسد يحرق القلب ويؤرق العين وهو موجع للبدن وفوق ذلك ينفر الناس من الحاسد وقيل : الحسود لايسود : ويقول رسول الله ﷺ :« الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى ، رأى في ظل العرش رجلا ، فغبطه بمكانه فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره ، وقال أحدثك من عمله بثلاث : كان لايحسد الناس على ماآتاهم الله من فضله ، وكان لايعق والديه ، ولايمشي بالنميمة . فهذه منزلة من رزقه الله فضيلة الرضا لايرجو زوال نعمة الناس ولايحقد عليهم لما من الله به عليهم . يقول

الله تعالى ﴿ ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض ﴾ .

وقد قال بعض السلف : أول خطيئة كانت هى الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية ، وهكذا كان الحسد سبباً فى طرد إبليس من زمرة الملائكة المقربين وسلوكه مسلك الشياطين .

كما كان الحسد سبباً لأن يقتل ابن آدم أخاه حين حسده بقول الله تعالى: ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ (المائدة : ٢٧)

والحسود بغيض إلى الناس بعيد من الله لايأنس إليه أحد ولا يطلب مودّته إنسان لاينال من المجالس إلا مذمة وذلا ، ولاينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ، ولاينال إلا جزعاً وغما ولاينال عند النزع إلا شدة وهولا ، ولايلقى عند الموقف إلا فضيحة ونكلا ذلك جزاء تلك الخلة الذميمة . وقديماً حسد الكفار المؤمنين على إيمانهم وتمنوا زوال نعمة الإيمان عنهم ، وقد أخبر القرآن عن ذلك بقوله : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم ﴾ (البقرة : ١٠٩) بل لقد دفع الحسد إخوة يوسف إلى التخلص من أخيهم يوسف عليه السلام لما رأوه من حب أبيهم له ليستأثروا بحبه دونه ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينامنا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو طرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ﴾ (يوسف : ٨).

فاللهم إنا نعوذ بك من الحسد والحاسدين ونعوذ بك أن نكون منهم ، يقول ابن سيرين رحمه الله : ماحسدت أحداً على شىء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى مقبرة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار .

وصية الرسول للأزواج

« ســأل رســول الله ﷺ « امــرأة ـ كــيف أنت لزوجك ؟ . قالت يارســول الله لا آلوه فقــال أحسنى فإنه جنتك ونارك » .

المرأة الصالحة سند فى الحـياة وعون على الدين وقــال العلماء فى مـعنى قـوله تعـالى ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة﴾ هى المرأة الصـالحة وجاء فى حديث لسيدنا رسول الله ﷺ « ليتخذ أحدكم قلبا شــاكرا ، ولسانا ذا كراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » .

وكان عمر بن الخطاب يقول « مــا أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امــرأة صـالحة وإن منهن غنما لا يحـذى منه ومنهن غلا لايفدى منه وقــال رسول الله ﷺ « أكمل المؤمنــين إيماناً أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وقد جـعل المصطفى الهادى صلوات الله وسـلامه عليـه للمرأة على الرجل حـقـوقـا عندمـا سـئل فى ذلك « يطعـمـهـا إذا طعم ويكسوهـا إذا اكتسى ولا يقـبح الوجه ولايضـرب إلا ضرباً غـير مبرح ولايهجرها إلا فى المبيت » .

وفى حديث اليوم يســأل رسول الله ﷺ امرأة من المسلمين عن سلوكهـا مع زوجها ، وهل هى ترعى حق زوجـها عليها ، فـقالت

يارسول الله إنى لأاهجره كناية عن مراعاتها لحقوقه عليها ، فقال لها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحسنى - أى أحسنى عشرته ، وأدى واجباته ، فإنه جنتك ونارك ، فالزوج الصالح لزوجته يشبه الجنة ، حيث ينعم الزوجان بحياة طيبة طاهرة ، وعيشة راضية صافية ، لاكدر فيها ولاشيء يعكر صفو الحياة كما شبه الرسول ﷺ الزوج غير الصالح بالنار لأنه يحيل المنزل إلى جحيم ، يكثر فيه الغضب والنكد ، ويشيع فيه الشجار والمشاحنة وينتهى بهدم بيت الزوجية .

والزوجة تستطيع بإحسانها للعشرة ومراعاة حقوق الزوج أن تجعل الزوج يعيش عيشة كريمة يحافظ عليها وتفوز بعطفه ورعايته ، أما إذا وقع الخلل كان الأمر غير ذلك .

وحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، أهمها أمران ، أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء فى السلف الصالح وكان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولانصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيراته ذلك وقالوا لزوجته لاترضى بسفره فقالت : زوجى عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق .

وقد روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج : إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة يكن لك عبدا ، لاتلحفى به فيقلاك ، ولاتباعدى عنه فينساك ، إن دنا منك فاقربى منه ، وإن نأى فابعدى ، واحفظى أنفه وسمعه وعي . فلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع منك إلا حسنا ولاينظر منك الا جميلا .

المؤمنون وأبناؤهم في الجنة

عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر به عينه » ثم قرأ ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾
(الطور : ٢١)

وقال من لاينطق عن الهوى (ﷺ)في حديث آخر إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ (ﷺ)الآية .

يخبرنا رسول الله (ﷺ) في الحديث الشريف عن مصير ذرية المؤمن من بعدهم ومآلهم إذا ما انتقلوا إلى جوار ربهم .

فالذرية المؤمنة التي تسير على نهج الآباء ، تسلك طريق إيمانهم ، وتتبع سبيل نهجهم ، لايحيدون ولاينحرفون لن تتخلى عنهم العناية الإلهية ، والرعاية الربانية ، بل تحدو الكبير منهم والصغير حتى يلحقوا بآبائهم .

من لطف الله تعالى وكرمه ، وفضله وامتنانه وعطفه وإحسانه

بخلقه جمع هؤلاء على أبنائهم حتى يبلغوا منزلتهم وإن لم يكونوا قد عملوا مثل ماقدم الآباء من عمل .

فلكى تقر أعين الآباء بأبنائهم ، يجمع الله بينهم على أحسن الوجوه فيرفع الناقص العمل بالكامل ، ولاينقص ذلك من كامل العمل ومنزلته للتساوى بينه وبين ذاك .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ .

قال ابن عباس ـ المؤمنون فى الجنة بدرجات آبائهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات الآباء لتقر بذلك أعينهم تكرمة لهم .

ويحمل الحديث الشريف بين كلماته دعوة لتربية الأبناء تربية صالحة لينشأوا على الإيمان ، وليسيروا على درب الآباء، بالعمل الصالح والسلوك الحميد.

قال ابن كثير .. وهذا فضل الله على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء.

فقد روى الإمام أحمد عن أبى هريرة « رضى الله عنه » قال . قال رسول الله ﷺ « إن الله ليرفع درجة العبد الصالح فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك .

وقال الهادى البشير (ﷺ) إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله ».

فلنحسن أيها المؤمنون تربية أبنائنا فينتفع الآباء بأبنائهم والناجى يأخذ بيد الآخر.

الرياء شرك

قال شداد بن أوس : رأيت النبى ﷺ يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله ؟ قال :« إنى تخوفت على أمتى الشرك أما إنهم لا يعبدون صنما ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراؤون بأعمالهم » .

أن الرياء هو اتصاف الإنسان بما ليس فيه وإظهاره خلاف ما يخفيه ، وهذا هو سبيل النفاق يقول الله تعالى: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ﴾ (البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٥)

فأولئك يذهبون أعمالهم سدى وينفقون أموالهم هباء يبتغون رضاء الناس بسخط الله فيكلهم الله إلى الناس . يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ يراءون الناس ولايذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك ﴾ (النساء : ٢٤٢).

لذلك يعقد الإسلام بالنية إذ هى مناط العمل وهى أمر خفى محله القلب فلا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى . يقول النبى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى » .

قال رجل لعبادة ابن الصامت . أقاتل بسيفى فى سبيل الله ،

أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس . قال لاشيء لك فسأله ثلاث مرات وهو يقول : لاشيء لك . إن الله يقول ﴿ أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ﴾ .

فالإسلام يعنى أن يسلم المرء نفسه لله فلا يعبد غيره ولا يرجو جزاء من سواه ولايقصد بعمله إلا وجهه ولذلك لم يكن فيه وساطة بين العبد وربه ﴿ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (الأنعام : ٧٩).

ويبين الإمام على كرم الله وجهه علامات الرياء فيقول : للمرائى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحذرون من الرياء وينفرون منه اقتداء بالنبى ﷺ فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطاطىء رقبته فقال : ياصاحب الرقبة ، ارفع رقبتك ، وليس الخشوع فى الرقاب . إنما الخشوع فى القلوب .

وقد ضرب رجلا بالدرة ثم ندم فقال : اقتص منى فقال لا أدعها لله ولك . فقال عمر : ماصنعت شيئا ، إما أن تدعها لى فأعرف ذلك ، أو تدعها لله وحده فقال : ودعتها لله فقال عمر : فنعم إذن .

فإخلاص العمل لله وحده ابتعاد به عن الرياء واجتلاب للثواب من رب العزة . ولذلك كانت الطاعات فى السر أفضل منها فى العلن . يقول رسول ﷺ « إن فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله » .

وفى ذلك يقول الحسن رضى الله عنه : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة ، لونطق بها لنفعته ونفعت أصحابه، وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة .

رمضان شهر الخير

الصيام فريضة من فرائض الإسلام ، وعبادة لله ورياضة للروح وتهذيب للنفس ، وصقل للجوارح وسمو بالوجدان وشحذ للعزيمة ، وتدريب الإرادة لذلك فرضه الله على المسلمين كما كتبه على من سبق من الأمم مع اختلاف فى الأسلوب .

يقول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣)

وقد كان رسول الله ﷺ فيما عدا رمضان يصوم ويفطر إلا فى رمضان فإنه كان يصوم الشهر كله امتثالا لأمر الله تعالى ، وقد ربى صحابته على آداب الصوم تحقيقا لحكمته وابتغاء لثوابه وتعريفاً لقدره يقول صلوات الله وسلامه عليه .

« لو يعلم الناس مافى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة » .

هذا هو قدر رمضان كما بين الرسول ﷺ أن زكاة الجسد الصيام . وكما أن الزكاة تطهير للمال فالصوم كذلك تطهير للجسد من الأدران والهفوات والعلل والأمراض بل أنه تطهير له

مما يدخل النار .

يقول ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » . أما أسلوب الصيام فقد أوضحه الرسول ﷺ عليه عندما جاءه من يقول له إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى جيرانها فقال « لاخير فى صلاتها ولا فى قيامها هى من أهل النار » .

وفى قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة لله فى أن يدع طعامه وشرابه » .

ولذلك يقول العارفون الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص ، فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة ، وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية وكان صحابة رسول الله ﷺ الذين تربوا على يديه وتفقهوا فى مدرسته أعرف الناس بهذه المعانى فقد رأوا نبيهم العظيم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان ، وقد كان فى العشر الأواخر حينما يجيئه جبريل ليدارسه القرآن فإذا به ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة وقد بشر صلوات الله عليه وسلامه الصائمين بأعظم البشارات ، وأجزل الثواب وأكرم الجزاء فقد ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى ﷺ أنه قال مخبراً عن ربه عز وجل .﴿ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ﴾ .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن من صام يوماً من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فإذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة .

يريد الله بكم اليسر

عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد « والكديد موضع بين مكة والمدينة » ثم أفطر فأفطر الناس وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله ﷺ.

بهذا السنة الشريفة يؤكد سيدنا رسول الله ﷺ رعاية الإسلام لأ تباعه فلا يكلف الناس فوق طاقتهم فهو يسر لاعسر يقول الله تعالى فى محكم التنزيل ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ويقول تعالى فى شأن صيام شهر رمضان ﴿ فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ وذلك تخفيف من الله تعالى على المسافر فلا يجمع بين مشقة السفر ومشقة الصيام .

ويبين لنا الحق جل وعلا رحمته بالناس ورأفته بهم فيقول : ﴿ يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وقد حدد العلماء السفر الذى يبيح الإفطار بانه السفر الطويل الذى تقصر فيه الصلاة ، وقدره أهل العلم بألا يقل عن واحد وثمانين كيلومتراً .

والفطر فى السفر رخصة من الله عز وجل فمن أخذ بالرخصة

فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه .

روى عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فى رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم ، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن، وعليه القضاء.

أما إذا خيف الضرر ووضحت المشقة فالأخذ بالرخصة أولى ، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ فى سفر فرأى رجلا قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه فقال ماله ؟ قالوا : رجل صائم فقال رسول الله ﷺ « ليس البر أن تصوموا فى السفر » .

فعلة الفطر للمسافر هى الضرر والمشقة إذا خيفا فعليه الفطر وإلا فهو بالخيار فإذا ما تحققت المشقة وتأكد الضرر فالفطر أوجب من الصوم صوناً لكيان الفرد وحفظاً له من التهلكة : يقول الله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾.

ورد عن النبى ﷺ أنه كان فى سفر فى رمضان فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر فرفعه حتى نظر اليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال : ﴿ أولئك العصاة أولئك العصاة ﴾.

وقد أوضح النبى ﷺ فضل المفطر على الصائم فى الأجر تبعاً لتفوقه فى العمل وذلك عند السفر نتيجة للمشقة التى عاناها الصائمون .

فعن أنس رضى الله عنه قال . كنا مع النبى ﷺ فى السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال : فنزلنا منزلا فى يوم حار أكثرنا ظلا صاحب الكساء ومنا من يتقى الشمس بيده قال ! فسقط

الصــوام وقام المفطرون فـضـربوا الابـنية وسـقوا الركـاب فقـال رسـول الله ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

لله درك ياسيـدى يارسـول الله . لأنت الرحيم بأمـتك ، الرفيق بأتبـاعـك وصـدق الله العظيـم إذ وصـفك بقـوله ﴿ الـنبى أولى بالمؤمنين من أنفسـهم ﴾ .

ويقول سـبحانه ﴿ لقد جـاءكم رسول من أنفسكم عـزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾

(التوبة : ١٢٨)

الصيام والقرآن يشفعان

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام ، أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال فيشفعان » .

يخبرنا رسول الله ﷺ أن الصيام والقرآن يأتيان يوم القيامة فيشهدان لصاحبهما بالخير ، ويطلبان من الله تعالى خير الجزاء ، وكمال الأجر والثواب .

والصيام والقرآن ينطقان يوم القيامة شأنهما شأن كثير من غير العاقل فقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأن الجلود سوف تنطق وتشهد :﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء ﴾ (فصلت : ٢١)

ويوم القيامة يأذن رب العزة سبحانه وتعالى للصوم والقرآن بالشفاعة لصاحبهما فيشفعان له باذن الله .

﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ .

والصوم هو ركن الإسلام الحكيم ، فرضه رب القدرة سبحانه

وتعالى فى شهر رمضان من كل عام .

وهو عبادة خالصة لله تعالى ، لايطلع عليها أحد غيره ، ولاحظ فيها للنفس البشرية ، بل الصوم فرض جهاداً للنفس وكبحاً لجماحها وكسراً لشهواتها .

والصوم عبادة تخلو من الرياء والسمعة ، لأنها عمل بر بنية منفردة ، والصوم استغناء عن الطعام والشراب ، تشبها بالله تعالى فهو سبحانه يطعم ولا يطعم .

ولذلك يقول الله جلت قدرته ﴿ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ﴾ أى أن الصائم يتقرب الى ربه جل وعلا بأمر هو متعلق بصفة من صفاته العليا : وإن كانت صفاته سبحانه لايشبهها شيء .

والقرآن هو كلام الله المبين ، وصراطه المستقيم ، فيه الهدى والنور ، وبه تشرق القلوب وتنشرح الصدور .

فتلاوته فى رمضان لها شأن عظيم ، لأنه أنزل على رسول الله ﷺ فى رمضان ، وكان جبريل عليه السلام يعارضه به فى كل رمضان مرة حتى إذا كان العام الذى انتقل فيه ﷺ إلى الرفيق الأعلى عارضه به مرتين .

فلنصم أيها المؤمنون صياماً حقاً ، لنصم كما صام سيدنا رسول الله ﷺ ولنقرأ القرآن العظيم ونتدارسه ، ونعرف أحكامه ،ونتدبر آياته ونعمل بها وخاصة فى رمضان الخير .

ذلك كى يشفع لنا الصيام ويشفع لنا القرآن عند الله تعالى يوم القيامة ، يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

حقيقة الصوم

قال رسول الله ﷺ « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » .

بهذا الحديث الشريف ينبهنا رسول الله ﷺ إلى آداب الصيام فالصيام تهذيب للنفوس ، وسمو بالأرواح ، وارتفاع بالبشرية إلى مصاف الروحانيات حيث تذوب الماديات ، وتصفو النفوس ، وتعرج القلوب إلى المقامات العلا.

والصوم يهدف إلى كسر شهوة الهوى لتقوى النفس على العبادة ، وسبيل ذلك الامتناع عن الطعام والشراب ، والبعد عن الملذات والشهوات وبذلك تنتصر الروح على الجسد ، وتسمو النورانية على المادية ، فيسيطر الإنسان على نفسه ، ويمسك بزمام جوارحه .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ومتى سيطر الإنسان على نفسه وكبح جماحها ، استطاع أن يتجه بها إلى حيث أمر الله من فعل للخيرات ، وإصلاح بين الناس، وحث على البر والتقوى ، وحفظ اللسان عن الهذيان وبعد

به عن الكذب والغيبة والنميمة وتحرج من الخصومة والجفاء وكف بقية الجوارح عن الآثام والمكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلا معنى للصوم ـ وهو الكف عن الطعام الحلال ـ ثم الإفطار على الحرام فذلك كمن ينكث غزله .

ويقسم الإمام الغزالى الصوم إلى ثلاث درجات صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص

فصوم العموم هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية .

فحذار أيها المؤمن أن تفوتك حقيقة الصيام ، واحترس أن ترجع من شهر رمضان خالي الوفاض ، فلا يكون حظك منه إلا الجوع والعطش ، واجتهدفى أداء صيامك واحرص على تحقيق معانى الصيام لتفز بالأمر الوفير فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » .

ويقول الله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ليس الصيام من الشراب والطعام وحده ولكنه من الكذب والباطل واللغو .

وقال جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ولاتجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

تلك هى آداب الصيام من تمسك بها فاز ونجا ومن استهان بها لم ينل من صيامه إلا الجوع والعطش .

وقد كان السابقون يفهمون معانى الصيام ويستشعرون أنهم فى صومهم فى ضيافة رب العالمين . يروى أن الحجاج خرج ذات يوم فبلغ الصحراء ولما حضر غذاؤه قال : اطلبوا من يتغذى معنا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً فى شمله فأتوه به فقال له هلم .

قال : دعانى من هو أكرم منك فأجبته . قال : ومن هو ؟

قال : الله تبارك وتعالى . دعانى إلى الصيام فأنا صائم

قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر ؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه .

قال : فافطر اليوم وتصوم غداً . قال أو يضمن الأمير لى أن أعيش إلى غد .

قال : ليس ذاك إلىَّ . قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس إليه سبيل ؟

سلوك الصائم

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه « يقصد رمضان » ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع أين أنا إذا مت فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « نعم معي ، إذا حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب ، وعينيك من اثنتين النظر إلى ما حرم الله وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين » .

تجد في الحديث الشريف أن رجلا جاء يعرض حالته على رسول الله ﷺ وقد صدق في قوله فهو يفعل من فرائض الدين ما تطيقه نفسه وما تسمح به حالته .

فهو يصوم شهر رمضان فقط ، ويصلي الأوقات الخمس فقط ولا يزيد على ذلك شيئا من النوافل مما يدلنا على أنه كان مكافحاً في سبيل العيش طوال العام ، فهو يعمل دائما في عمل يستفيد جهده وعافيته ، وهو يعيش عيشة الكفاف ، فيحصل على قوت يومه من عمله ، ولا يتبقى من ماله مايتصدق به ، ولا يستطيع أن يوفر نفقات الحج ولاقدرة له على شيء من ذلك ، فهو يعيش

عيشة رقيقة ، ويريد أن يعرف مصيره إذا هو لقى ربه .

ويجيب الهادى البشير بابتسامة حانية ورقة رحيمة ، ونظرة رقيقة مبشرة . « نعم معى » .

ثم يريه الهادى البشير ﷺ مصابيح الطريق حتى يضيئها كيلا يضل وهى القلب واللسان والعينان يضىء حنايا قلبه بالإيمان الكامل والحب الصادق فينزع منه الغل والحسد ولذلك كان دعاء المؤمنين كما جاء في محكم التنزيل ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ وقال تعالى فى أهل الجنة : ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ ويأخذ لسانه بالصدق ، ولاينطق إلا بالحق ، ولا يستعمله فى غيبة أو نميمة وينأى به عن الكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وقد أجاب رسول الله ﷺ على رجل سأله عن شيء يدخله الجنة فقال له « أمسك عليك لسانك » والله مع الصادقين يجزيهم بصدقهم أحسن ما كانوا يعملون .

والعينان يراقب الله تعالى فيهما . فلا يستعملهما فى النظر إلى ما حرم الله ويترفع بهما عن نظرة استهزاء أو سخرية أو ازدراء لمسلم فما خلقنا إلا لرؤية ملك الله عز وجل وما أحل الله تعالى النظر إليه .

تلكم ثلاثة شروط يوضحها الرسول الكريم لسائله إذا هو حفظها وأداها مع ذلك الحد الأدنى من العبادة التى بينها السائل فى سؤاله كان فى صحبته ﷺ فى الجنة أى فى أعلى وأرقى منازل الجنة ﴿ مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ .

صدق الله العظيم

زكاة الفطر

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » .

فزكاة الفطر تزكية للصوم ، وتطهير للصائم مما قد يكون قد علق بصومه من شوائب ، وما أصابه من خلل فى صومه ، فهى تنقية له وتصفية ، حتى يرفع الصوم إلى رب العزة صحيحاً نقياً، ناصعاً جلياً ولذلك قيل « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لايرفع إلا بزكاة الفطر » .

وهذا شأن الإسلام ترتبط فيه العبادات بمصالح العباد ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ فالصدقة تطهر ما شاب العبادة من أدران ، والحسنة تذهب السيئة ، يقول الله سبحانه ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ .

وهى طعمة للمساكين فى يوم العيد يشاركون فيه إخوانهم فرحهم وبهجتهم فالصائم فرحتان : إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه ، وقد اقتضت حكمة الإسلام أن يكون

الفقـير شريكا للغنى فى بهـجة احتفـاله بالفطر فأوجب التوسـعة عليه فى هذه المناسبة وإغناءه فى هذا اليوم .

فعن ابن عمر قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال : اغنوهم فى هذا اليوم وفى رواية البيهقى : اغنوهم عن طواف هذا اليوم » :

وحكم زكاة الـفطر الوجوب قال ابن عـمر « فـرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر » ولدخـولها فى عموم قـول الله تعالى : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ . وموعد إخراجها من غروب شمس ليلة الفطر إلى ماقبل صلاة العيد ، وذلك لقول ابن عمر : « أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خـروج الناس إلى الصلاة » أى قبل خـروجه لصلاة العيد . فإذا أديت قبل الصـلاة فهى زكاة مقبولة لأنها آتت حكمة إخراجـهاوهى إغناء المحتاجين فى يوم العـيد وإذ أديت بعد الصلاة فـهى صدقة من الصدقـات لها أجرها وأمـر القبول فيـها باعتـبارها زكـاة موقـوفة على مـشيـئة الله تعالى ، وقـال بعض الفقهاء إنها تجزىء إلى آخر يوم الفطر .

ويستحب التعـجيل بإخراجها إلالضرورة ، كعدم وجـود فقير فى البلدة حال إخراجها ، أو الاحتفاظ بها للفقراء من الأقارب .

ولاباس من إخـراجهـا فى رمضـان حتـى يتمكن الفـقيـر من الاستعانة بها على ما يحـتاجه وإعداد مايلزمه هو وأولاده فى ايام العيد لتتحـقق الحكمة منها وهى مشاركة الفقراء فـى مباهج العيد بإعداد الثياب والحاجات اللازمة لهم ولعائلاتهم .

ولايجوز نقلهـا من بلدة إلى أخرى إلا لضرورة كـوجود ذوى قرابة فى بـلدة أخرى يريد أن يعطيـه شيئـاً منها او لعـدم وجود فقراء فى بلده .

أسماء النبى

أسماء سيدنا رسول الله ﷺ وهى المكتوبة فى مواجهة الحجرة النبوية المطهرة فى مسجده المنيف بمدينته المنورة بانواره المشمولة ببركاته وأسراره.

(محمد) ﷺ (أحمد) ﷺ (حامد) ﷺ (محمود) ﷺ (أحيد) ﷺ (وحيد) ﷺ (ماح) ﷺ (حاشر) ﷺ (عاقب) ﷺ (طه) ﷺ (يسن) ﷺ (طاهر) ﷺ (مطهر) ﷺ (طيب) ﷺ (سيد) ﷺ (رسول) ﷺ (نبى) ﷺ (رسول الرحمة) ﷺ (قيم) ﷺ (جامع) ﷺ (مقتف) ﷺ (مقفي) ﷺ (رسول الملاحم) ﷺ (رسول الراحة) ﷺ (كامل) ﷺ (إكليل) ﷺ (مدثر) ﷺ (مزمل) ﷺ (عبدالله) ﷺ (حبيب الله) ﷺ (صفى اللّه) ﷺ (نجى الله) ﷺ (كليم الله) ﷺ (خاتم الأنبياء) ﷺ (خاتم الرسل) ﷺ (محي) ﷺ (منج) ﷺ (مذكر) ﷺ (ناصر) ﷺ (منصور) ﷺ (نبى الرحمة) ﷺ (نبى التوبة) ﷺ (حريص عليكم) ﷺ (معلوم) ﷺ (شهير) ﷺ (شاهد) ﷺ (شهيد) ﷺ (مشهود) ﷺ (بشير) ﷺ (مبشر) ﷺ (نذير) ﷺ (منذر) ﷺ (نور) ﷺ (سراج) ﷺ (مصباح) ﷺ (هدي) ﷺ (مهدي) ﷺ (منير) ﷺ (داع) ﷺ

(مدعو) ﷺ (مجيب) ﷺ (مجاب) ﷺ (صفي) ﷺ (عفو) ﷺ
(ولي) ﷺ (حق) ﷺ (قوي) ﷺ (أمين) ﷺ (مأمون) ﷺ (كريم)
ﷺ (مكرم) ﷺ (مكين) ﷺ (متين) ﷺ (مبين) ﷺ (مؤمل) ﷺ
(وصول) ﷺ (ذو قوة) ﷺ (ذو حرمة) ﷺ (ذو مكانه) ﷺ
(ذو عز) ﷺ (ذو فضل) ﷺ (مطيع) ﷺ (قدم صدق) ﷺ
(رحمة) ﷺ (بشري) ﷺ (غوث) ﷺ (غيث) ﷺ (غياث) ﷺ
(نعمة الله) ﷺ (هدية الله) ﷺ (عروة وثقي) ﷺ (صراط الله)
ﷺ (صراط مستقيم) ﷺ (ذكر الله) ﷺ (سيف الله) ﷺ (حزب
الله) ﷺ (النجم الثاقب) ﷺ (مصطفي) ﷺ (مجتبي) ﷺ (منتقي)
ﷺ (أمى) ﷺ (مختار) ﷺ (أجير) ﷺ (جبار) ﷺ (أبو القاسم)
ﷺ (أبو الطاهر) ﷺ (أبو الطيب) ﷺ (أبو إبراهيم) ﷺ (مشفع)
ﷺ (شفيع) ﷺ (صالح) ﷺ (مصلح) ﷺ (مهيمن) ﷺ (صادق)
ﷺ (مصدق) ﷺ (صدق) ﷺ (سيد المرسلين) ﷺ (إمام المتقين)
ﷺ (قائد الغر المحجلين) ﷺ (خليل الرحمن) ﷺ (بر) ﷺ (مبر)
ﷺ (وجيه) ﷺ (نصيح) ﷺ (ناصح) ﷺ (وكيل) ﷺ (متوكل)
ﷺ (كفيل) ﷺ (شفيق) ﷺ (مقيم السنة) ﷺ (مقدس) ﷺ
(روح القدس) ﷺ (روح الحق) ﷺ (روح القسط) ﷺ (كاف) ﷺ
(مكتف) ﷺ (بالغ) ﷺ (مبلغ) ﷺ (شاف) ﷺ (واصل) ﷺ
(موصول) ﷺ (سابق) ﷺ (سائق) ﷺ (هاد) ﷺ (مهد) ﷺ
(مقدم) ﷺ (عزيز) ﷺ (فاضل) ﷺ (مفضل) ﷺ (فاتح) ﷺ
(مفتاح) ﷺ (مفتاح الرحمة) ﷺ (مفتاح الجنة) ﷺ (علم الإيمان)
ﷺ (علم اليقين) ﷺ (دليل الخيرات) ﷺ (مصحح الحسنات) ﷺ
(مقيل العثرات) ﷺ (صفوح عن الزلات) ﷺ (صاحب الشفاعة)
ﷺ (صاحب المقام) ﷺ (صاحب القدم) ﷺ (مخصوص بالعز)

ﷺ (مخصـوص بالمجد) ﷺ (مخصـوص بالشرف) ﷺ (صاحب الوسـيلة) ﷺ (صـاحب السـيف) ﷺ (صـاحب الفـضـيلة) ﷺ (صاحب الازار) ﷺ (صاحب الحجة) ﷺ (صاحب السلطان) ﷺ (صـاحب الرداء) ﷺ (صاحـب الدرجة الرفـيـعة) ﷺ (صـاحب التـاج) ﷺ (صاحب المغـفـرة) ﷺ (صاحب اللواء) ﷺ (صـاحب المعراج) ﷺ (صاحب القضيب) ﷺ (صاحب البراق) ﷺ (صاحب الخاتم) ﷺ (صاحب العلامة) ﷺ (صاحب البرهان) ﷺ (صاحب البيان) ﷺ (فصيح اللسان) ﷺ (مطهر الجنان) ﷺ (رءوف) ﷺ (رحيم) ﷺ (أذن خير) ﷺ (صحيح الإسلام) ﷺ (سيد الكونين) ﷺ (عين النعـيم) ﷺ (عين الغـر) ﷺ (سـعـد الله) ﷺ (أسـعـد الخلق) ﷺ (خطيب الأمم) ﷺ (علم الـهدي) ﷺ (كـاشف الكرب) ﷺ (رفيع الرتب) ﷺ (عز العرب) ﷺ (صاحب الفرج) ﷺ.

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله

مكانة الرسول ﷺ

لقد أنزل المولى سبحانه وتعالى سورا من القرآن الكريم جعلها فى مدح المصطفى ﷺ كسورة الضحى فذكر سبحانه وتعالى فى أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته «ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضي» ثم ختمها كذلك بأحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا ﴿ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغني﴾ ثم أنزل سورة الشرح فشرفه ﷺ بثلاثة أشياء ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك﴾ وهكذا حتى قال له سبحانه وتعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر﴾.

وتأمل ياأخى المؤمن، لم يقل الله سنعطيك ، بل قال أعطيناك ليدل على أن هذا الاعطاء تفضل الله تعالى به من القدم، والرسول ﷺ يقول «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» فكأنه سبحانه يقول له قد هيانا لك أسباب سعادتك قبل دخولك فى هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبادتنا.

ولقد أنزل المولى سبحانه وتعالى فى القرآن العظيم سورا كثيرة باسمائه ﷺ كسورة طه وسورة ياسين ، وسورة محمد وسورة المزمل وسورة المدثر. وهذا زيادة فى تكريم المصطفى ﷺ وعلو منزلته عند ربه عز وجل.

وكتب اسمه ﷺ على كل سماء، فقد أخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا، انه عليه الصلاة والسلام قال «لما عرج إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمى فيها مكتوبا «محمد رسول الله» ﷺ.

وفى الحلية عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «مافى الجنة شجرة ولا ورقة إلا مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وقد سماه ربه عز وجل من أسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما، ثم صلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين ـ بالصلاة عليه فقال سبحانه «إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما «ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا.

صلى الله عليه وسلم

طاعة الرسول واجبة

كان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أحدثكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم».

لقد جمع هذا الحديث جميع أحكام الدين أولها عن آخرها ففيه أن ما سكت عنه النبى ﷺ فلم يأمر به ولا نهى عنه فهو مباح وليس حراما ولا فرضا وأن ما أمر به فهو فرض ، وأن مانهى عنه فهو حرام ، وأن ما أمرنا به فإنما يلزمنا منه ما نستطيع فقط.

فطاعة النبى واجبة على المسلمين يقول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ وقوله سبحانه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. وقد كان المسلمون فى عصر البعثة يفقهون معنى الطاعة للنبى ﷺ فينفذونها فى رضا وسعادة وتسليم، فهم بذلك فى رحمة الله وطاعته (من يطع الرسول فقد أطاع الله).

وطاعة النبى تقتضى تنفيذ أوامره واتباع تعاليمه واجتناب

ما نهى عنه دون لجاجة أو مجادلة بل بطيب نفس وراحة خاطر يقول ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) تأكيدا لتسليم المسلمين بما يقرره النبى ﷺ من أحكام بقوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).

كما يرفق النبى ﷺ بامته فلا يكلفها إلا جهدها وطاقتها، ولا يشق عليها فى أمر أو تكليف بل يجعل تنفيذ أوامره فى حدود الاستطاعة عملا بقول الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾. ومن أقواله فى هذا الشأن (يسروا ولا تعسروا) ولقد كان يبدو تيسيره فى سيرته ومخالطته لصحابته.

يروى انه فى حجة الوداع كان المسلمون يفدون عليه يسالونه عما فاتهم من شعائرهم فكان يجيب كلا منهم بقوله : «إفعل ولا حرج» تيسيرا على المسلمين وكان ﷺ لا يعرض له امران إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما تشريعا لأمته ورفقا بها.

وعندما فرضت الصلاة خمسين فى اليوم والليلة كان يلجأ إلى ربه يسأله التخفيف عن أمته حتى أصبحت خمسا فى اليوم والليلة مع بقاء ثوابها بما يعادل الخمسين صلاة.

وهكذا كان ﷺ يدفع المشقة عن المسلمين ويهديهم إلى التيسير ويرفع عنهم الحرج ومن أقواله عليه الصلاة والسلام «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقي».

كما حذر النبى ﷺ من كثرة السؤال فيما لم يرد فيه نهى حتى لا يشق الناس على أنفسهم كما كان يفعل اليهود والأمم السابقة من كثرة سؤالهم وتضييقهم على أنفسهم واختلافهم على انبيائهم

فكان فى ذلك أخذهم بالشدة وهلاكهم، وفى ذلك يقول اله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين﴾

ذلك، أن التنطع فى الدين والالحاح فى السؤال مما يقتضى التشديد فى الأحكام، فمن شدد شدد عليه فيا أيها المسلمون يسروا ولا تعسروا فان مع العسر يسرا.

الدين يسر

عن أبى هريرة «رضى الله عنه» أنه قال ـ قال رسول الله

«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبة فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة».

يؤكد سيدنا رسول الله ﷺ فى حديثه المبارك أن الاسلام دين سهولة ويسر، دين وسط واعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط وسمى الدين الاسلامى يسرا بالنسبة إلى الأديان من قبله لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذى كان على الأمم السابقة.

ولذلك فدعاء المؤمنين: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾.

يقول الرسول الكريم ﷺ «إن هذا الدين يغلب من غالبه أى شدد على نفسه فلابد من غلبته وقهره وعجزه بعد ذلك.

فإذا أراد صوم الدهر مثلا أو أن يصلى مائة ركعة، وبدأ بتنفيذ هذا دفعة واحدة فإنه فى آخر الأمر يغلب ويترك الصلاة والصيام.

لأن النفس كالطفل تؤخذ بالمران والدربة شيئا فشيئا فتتدرج فى مراتب العبادة وترتقى إلى إن تبلغ ماقدر لها.

قال ابن المنير، فى هذا الحديث علم من اعلام النبوة، فقد رأينا ويرى الناس أن كل متنطع فى الدين ينقطع.

وليس المراد منع طلب الاكمل فى العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الافراط المؤدى إلى الملل أو المبالغة فى التطوع المفضى إلى ترك الأفضل أو إخراج الغرض عن وقته.

روى الامام أحمد أن رسول الله ﷺ قال «لن تنالوا هذا الأمر بالمبالغة وخير دينكم أيسره».

وقوله ﷺ «فسددوا» أى الزموا الصواب من غير افراط ولا تقصروا فى القول والعمل.

وقوله ﷺ «وقاربوا» ، أى توسطوا بين الافراط والتفريط قال من لا ينطق عن الهوى ﷺ أحب الاعمال ماداوم عليه صاحبه وان قل.

ثم يبشر رسول الله ﷺ الناس بعد ذلك بالثواب على العمل وإن قل، والاجر عليه من رب العزة سبحانه وتعالى لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ويأمر رسول الله ﷺ بعد ذلك باستغلال أوقات النشاط من النهار والليل فى عبادة الله تعالى وتسبيحه وتقديسه وحمده ويشبه النبى الكريم العابد بالمسافر.

فكما أن المسافر يستحسن أوقاتا لسفره، فكذلك العابد يجب أن ينشط فى أوقات النشاط وهى وقت الغدوة ـ وهى ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ـ أول النهار .. والروحة ـ من زوال

الشمس إلى غروبها ـ والدلجة ـ شئ من الليل.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ (المزمل) وقال سبحانه لرسوله ﷺ في سورة طه ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضي﴾.

الدين النصيحة

عن حذيفة بن اليمان أن الهادى البشير ﷺ قال: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمس ويصبح ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم».

صدق رسول الله ﷺ

فى هذا الحديث النبوى الشريف دعوة إلى التكافل والتضامن فى حكمتها دعوة وإرشاد إلى التناصح كسبيل إلى ذلك ليس مثله سبيل وتعريف للمؤمنين بأن انتماءهم للجماعة لايكون إلا باهتمام إيجابى بها بمختلف شئونها.. اهتمام يترجم إلى نصح لله تبارك وتعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام وللامام ولعامة المسلمين.

فالايمان يجمع المؤمنين على الصفاء والمحبة ، ويشدهم إلى بعض بأوامر أقوى من وشائج القربى أو عصبيات الدم أو علاقات المصالح.. والمؤمن الحق يتبع فى منهجه وتصرفه عن هذه الأصرة المتينة القوية، فيضع نفسه فى خدمة الجماعة ، ويترجم حبه لها إلى اهتمام إيجابى بها، ولا يمكن لمؤمن حق أن يكون فى شعوره ومنحاه على غير هذا السبيل الذى يأتلف فيه الجميع فى إطار

المبدأ الكريم الذى أقره المصطفى عليه الصلوات: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ولأن النصح عطاء منبعه الود والمحبة - وهما رباط المؤمنين - فقد حث عليه الهادى البشير عليه الصلاة والسلام ، ورفع من شأنه حتى جعله مرادفا للدين نفسه، فقال «الدين النصيحة» ... وفيما قرأناه من حديث مواكبة واتساق مع هذا المعنى يتجلى فيما أرشد إليه عليه الصلاة والسلام من أن الانتماء الحق إلى جماعة المؤمنين لايكون إلا بالنصح لله ولرسوله ولكتابه وللامام ولعامة المسلمين.

فكيف يكون النصح الذى يعنيه الحديث الشريف لكل هؤلاء؟

إن النصيحة فى اللغة تعنى إخلاص المحبة وصدق المودة وصحة الاعتقاد، والتناصح يعنى تبادل الاخلاص والارشاد إلى الخير والصواب.. والنصيحة لله سبحانه وتعالى - وهو الحكيم الخبير - إنما تعنى الايمان الكامل به، والاعتقاد الراسخ فى وحدانيته ، وإخلاص النية فى عبادته ووصفه بما هو أهله، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة فيما يحبه والبعد عما يغضبه وموالاة من أطاعة ومعاداة من عصاه.

والنصيحة لرسوله ﷺ إحياء سنته والالتزام بها والتخلق بأخلاقه الظاهرة، والدعوة إلى طريقته، والاحتكام إلى شريعته والنصيحة لكتابه، هى حسن تلاوته ، وحفظ حدوده ، والعمل بأحكامه والتزام أوامره، واجتناب نواهيه، ونشر مبادئه وقيمه وآدابه واتخاذه دستورا للحياة الطيبة.

والنصيحة للأئمة، هى معاونتهم على ما كلفوا به، وتنبيههم

عند الغفلة وإرشادهم عن الهفوة، وتعليمهم ما جهلوا وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية ورد القلوب النافرة إليهم.

والنصيحة لعامة المسلمين، هى الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتفريج كروبهم وعلى حل مشاكلهم.

واعلم ياأخى أن النصيحة لايقبلها إلا أصحاب العزائم القوية والنفوس الراعية فى الكمال، ففى مأثور الحكم. «ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواه».

بركة النبى

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدى لأكسوكها فأخذهما النبى ﷺ محتاجا إليها «فخرج إلينا وانها إزاره.. فقال له رجل، أكسنيها، ما أحسنها.. فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم» ثم ارسل بها إليه بعد أن قام من مجلسه «فقال له القوم ما أحسنت» لبسها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لايرد سائلا فقال الرجل: إنى والله ما سألته لألبسها، وإنما سألته لتكون كفنى قال سهل: فكانت كفنه.

فى هذا الحديث الذى رواه سهل بن سعد عليه الرضوان من السيرة العطرة تتبدى الاخلاق المحمدية فى علوها وكمالها، وتتبدى عظمة المصطفى عليه الصلاة والسلام فى إيثاره وحبه للمسلمين، وبره بهم وحدبه عليهم.. فهو عليه الصلوات من قال له رب العالمين: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ .. وهو من حدثت عنه الآيات البينات فقالت: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾... وهو عليه الصلوات القائل: ﴿بعثت لأتمم مكارم الاخلاق﴾.

كان عليه أكرم الصلوات والتسليمات خير أسوة للمسلمين فيما دعاهم إلى التحلى به والثبات عليه من كريم الأخلاق والسجايا والخصال... وصفه الامام على رضى الله تعال عنه فقال: كان اجود الناس كفا، وأوسع الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شئ قط إلا إعطاه.

نعم... لم يسأل عليه الصلاة والسلام عن شئ قط إلا أعطاه

وقد حث المسلمين كثيرا ـ فيما حثهم عليه ـ على البذل والعطاء والبر بعضهم ببعض، وضرب بنفسه اعظم المثل فى إيثاره وسماحته وتقديمه الغير على نفسه مهما اشتدت حاجته.

يقول عليه أكرم الصلوات والتسليمات.

«أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان فى ستر الله مادام عليه منه خرقة (خيط أو سلك)».

صدق رسول الله ﷺ

وقد رأيناه عليه الصلاة والسلام، على شدة حاجته للبردة التى كان يتدثر بها، قد أعطاها فى سماحة وإيثار للرجل الذى سأله إياها، ثم ظهر فيما بعد أنه ابتغى أن تكون له كفنا يتبرك به.

وفى الأثر الشريف أنه عليه الصلوات حمل إليه يوما تسعون ألف درهم، فوضعها على حصير، ثم مال إليها

فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها... ثم جاءه رجل يسأله فقال له عليه الصلاة والسلام، «ما عندى شئ، ولكن ابتع على (أى اشتر ما تريد على ذمتي) فإذا جاءنا شئ قضيناه.. وهنا قال عمر بن الخطاب وكان حاضراً يا رسول الله: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه .. فكره النبى ﷺ منه ذلك فقال الرجل مخاطباً الرسول عليه الصلوات انفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فابتسم صلوات الله وسلامه عليه حتى عرف السرور على وجهه.

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

صدق الله العظيم (الحشر)

مكانة أهل البيت

أيها الاخـوة المؤمنون، سلام الله عليكم ورحمـته وبركـاته روى الامام مـسلم ان زيد بن أرقم قـال - قام رسول الله ﷺ خـطيبا فحمـد الله وأثنى عليه ثم قال «أيها الناس إنما انا بشـر مثلكم يوشك ان ياتينى رسول ربى عـز وجل (يعنى الموت) فـأجيـبه، وانى تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الـهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به، وأخل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتي».

ايها المؤمنون نعـرف من الحديث الشريف أن الرسـول ﷺ قد اخبـر بدنو اجله قبل ان ينتقل إلى الرفـيق الأعلي، ونلمس فى هذا تاكيدا منه ﷺ على انه بشر يوحى إليه، يجرى عليه ما يجرى على البشـر فإذا ما أتاه رسـول ربه عز وجل لبى وأجاب وقـد قال له رب العزة فى محكم التنزيل ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾.

ورحمـة النبى ﷺ بامته وحـرصه عليها يدفـعانه إلى التذكـير والتنبـيه إلى أنه تارك لها مـبادئ الحق والخـير، ومـصادر الأمن والهدى ومنابع الـنور والحكمة فى القرآن الكريم والـسنة المطهرة فـمن تمـسك بهـا لن يضل أبـدا بل يبـقى على الحـق والصـراط

المستقيم ويسميها في الحديث الثقلين والثقل شئ نفيس مصون، ثم يختتم الرسول الكريم ﷺ وصيته بقوله أذكركم الله فى أهل بيتى ويكررها ثلاث مرات.

وفى هذا التكرار إشارة إلى مكانة أهل البيت الأطهار، ومنزلتهم عند الله وعند رسوله ﷺ تلكم الدوحة النبوية الطاهرة التى نشأت فى بيت الرسالة، وشاركت رسول الله ﷺ فى كل شئ ، حياته اليومية، أكله وشربه، كلامه وفعله، ووعت عنه حديثه وحكمته، ومبادئه وتشريعه، ونوره وهديه.

فأهل البيت هم الذين رباهم صفى الرحمن بما تلقى عن ربه من قيم سامية وبما نشأ عليه من صفات وأداب راقية، هؤلاء الذين نشأوا فى رحاب الكمال البشرى والصفاء الانساني، فنشأوا فى أطهر وأشرف رحاب، ونهلوا من أعذب المناهل دينا وخلقا وسلوكا من القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ممن أرسله الله تعالى رحمة للعالمين فكانوا بذلك، مصابيح تضئ للناس طريق الله ورسوله، ومنارات للعلم والدين، وأمثله تحتذى فى سلوكهم وآدابهم وموارد تقصد فى فقههم وفهمهم لأمور الدنيا والأخرة.

ويذكرنا رسول الله ﷺ فى حديثه المبارك أن نحسن مودتهم، ونحرص على اتباعهم، والأخذ عنهم، والنهج على ما نهجوا وأن ننزلهم منزلتهم فكل مسلم يدعو لهم فى كل صلاة فى التشهد كل يوم، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أبواب الخير

أخرج ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال :

ان أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير ، والتهليل والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتسمع الأصم ، وتهدى الأعمى وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان والمستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ... فهذا كله صدقة منك على نفسك .

هذا هو نبى الخير صلوات الله وتسليماته عليه يفتح أمامنا أبواب الخير ، ويدلنا عليها بابا ، بابا وإذا كانت نعم الله عز وجل لاتحص ولاتعد فان كل نعمة من هذه النعم - ظاهرة أو باطنه - زكاة مطلوبة .

وكما أن للمال زكاة ، وللزرع زكاة ، وللأنعام زكاة ، فللعافية زكاة وللجاه زكاة .

ففى كل يوم تطلع عليك شمسه وأنت صحيح معافى ، عليك زكاة تؤديها شكرا لله ، طالما تحرك فى بدنك مفصل أو اضطرب فى جسمك عضو ، وجبت عليه زكاته شكرا للمنعم الخالق .

وفى كل قطرة دم تجرى فى عروقك ، وفى كل نظرة يرنو إليها بصرك ، وفى كل نفس تخفق به رئتاك ، نعمة كبرى ، وجبت عليك زكاتها حمدا وشكرا لله .

إن الصدقة فى الاسلام حق معلوم لافى الدراهم والاموال وحدها ولكن فى العواطف النبيلة ، والاحساس المرهف ، والشعور الكريم ، الذى يشد أفراد المجتمع بروابط وثيقة من التآخى والتراحم ، إنها تفجير لمنابع الخير فى النفس البشرية حتى تنساب على طبيعتها ، فتغمر كل واد ، ويرتوى منها كل مكان .

ومن هنا أطلق الرسول الكريم صلوات الله وتسليماته عليه الأمر بالصدقة فقال موضحا فى عموم وشمول على كل مسلم .

وكذلك أطلق الهادى البشير ﷺ عمل الخير وجعله رحيبا ، لايضيق عن شيء ولايخرج عن دائرته معروف مهما عظم أو صغر .

فسبحان الله والحمد لله ولااله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

من الصدقات الباقيات الصالحات ، ولذلك طالبنا الله عز وجل بأن نذكره كثيرا ونسبحه بكرة وأصيلا .

وإذا كان لكل نعمة زكاة فإن للجاه أيضا زكاة .

فان قدمت لأخيك يد المساعدة ، فنفست عنه كربته ، أو كشفت غمته ، أو قضيت حاجته ، فلك بهذه المشاركة النبيلة عند الله ، أجر عظيم .

أخرج الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال :

« إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع إليهم الناس فى حوائجهم ، أولئك هم الآمنون من عذاب الله » .

وإذا كان الناس فى هذه الأيام يتحدثون عن النظافة ، ويطالبون بها ويحشدون الطاقات لـها ، فان رسول الله ﷺ أدخل هذا الأمر فى دائرة عمل الخير عندمـا قال : ﷺ « وإماطة الأذى عن الطريق صدقة » .

ولو أننا عملنا بهذا التـوجيه النبوى الكريم ، واشتركنا جـميعا فى تنفـيذه لظهـر أثر ذلك جليا فى بيـوتنا وشوارعنا وطرقـاتنا ، ونوادينا ، وجميع شئوننا .

قوة العقيدة

عن أنس رضى الله عنه قال :كنا مع النبى ﷺ فى غزوة فلقى العدو فسمعته يقول :« يامالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين».

فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها ، وماذلك إلا لأن النبى والذين آمنوا معه إنما يقاتلون لإعزاز كلمه الحق ودفاعا عن النفس والوطن وهم يستمدون العون من الله الذى أسلموا إليه منيبين فكان حقا على الله أن يمدهم ويعزهم بنصره يقول الله تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ .

وقد كان النبى ﷺ يدعو ربه يوم بدر فيما رواه الامام مسلم وقد استقبل القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ويقول : « اللهم أنجز لى ماوعدتنى ، اللهم آت ماوعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد فى الأرض » فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه .

وما كان أسرع تلبية الله تعالى لدعوة نبيه وتصديقه وعده

﴿ فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

كل ذلك يؤكد فعالية قوة العقيدة وأثرها العظيم فى الفوز بالنصر فما انتصر المسلمون فى أول عهدهم وفى جميع فتوحاتهم الاسلامية الرائعة بالعدة أو العدد بل كان انتصارهم انتصار عقيدة ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾

وفى هذا المعنى يقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما أراد أن يشترك معه فى قيادة الجيش بعد أن تكاثرت جيوش الفرس على المسلمين : إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولاقلة ، وهو دين الله الذى أظهره وجنده الذى أعده وأمده حتى ما بلغ وطلع حينما طلع ونحن على موعد من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكان القيم من الأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإذا انقطع النظام تبعثر الخرز ثم لم يجتمع بحذا فيره .

والعرب وإن كانوا قليلا هم كثيرون بالاسلام وأعزاء بالاجتماع فأما ماذكرت من سير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله تعالى أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير مايكره وأما ماذكرت من عددهم فإنا لم نقاتل بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة فتقوى الله مجلبة وهى السلاح الأول والعدة المثلى .

وإلى جانب تقوى الله والاعتماد عليه واستجلاب العون منه فإن على المسلمين أن يستعدوا بكل قوة يقول الله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون

به عدو الله وعدوكم ﴾.

والقوة ورباط الخيل هي كل مـايستعمل في القـتال كالطائرات والدبابات والصـواريخ والمفرقـعات وكل مـايرهب العدو مـن قوة المؤمنين ـ كما كان النبي ﷺ يدعو المسلمين الى تعلم أفانين الحرب وأساليب القتال كالرماية والفروسـية فإذا أذن مؤذن الجهاد تقدم المسلمون كـما وصف سعد بن مـعاذ رجاله قائلا : إنا لصـبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ـ يارسول الله ـ ماتقر به عينك فامض لما أمرك الله .

مسئولية الولاية

عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فأمر عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا - أي لايقبل الله منه فرضا ولا نفلا - حتى يدخله جهنم » . صدق رسول الله ﷺ

يرشد الهادي البشير عليه الصلوات في هذا الحديث الشريف إلى ركيزة أساسية من ركائز الحكم الذي هو في عنق الحاكم أمانة ووديعة ، ويلفت النظر إلى أن اختياره لمن يعينهم لأمر أو لآخر من أمور المسلمين إنما يجب أن يكون بريئا من المجاملة والمحاباة ، وأن لايتوخى إلا صالح الجماعة باختيار الكفء القادر على القيام بما سيناط به .. وفي مثل هذا المعنى يقول صلوات الله وسلامه عليه : « من استعمل رجلا على عصابة من المسلمين وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين». وليس أجدر بعذاب جهنم من هذا الذي يقارف مثل هذه الخيانة التي هي أجسم صور الخيانة وأحراها بالعقاب .

والخطاب في الحديثين الشريفين إنما هو خطاب عام لكل من ولي أمرا من أمور المسلمين ، ومهما كان مكانه في سلم الحكم أو

الوظائف .. فما من أحد من هؤلاء ابتداء من رئيس الدولة إلى أصغر العمال والموظفين إلا ويوكل إليه على اختلاف الحكم والمناسبات أمر الاختيار فيما سيناط بهم مهام أو أخرى من مهام الدولة وشئون الناس .. ومن ثم فإن كل واحد منهم مطالب بأن يراقب الله وحده في اختياره ، وأن يبرئ نفسه من الهوى أو المصلحة الشخصية ، وأن يجعل صالح الجماعة وحدها هو هدفه وغايته .. فيختار لما يروم الاختيار فيه أكفأ من يستطيع الاضطلاع به ، والكفاءة هنا محسوبة بالقياس إلى نوع العمل ومتطلباته .. أى بالاختيار الرجل المناسب للمكان المناسب ، ذلك أن الأعمال فى نوعياتها ومواصفاتهامتغيرة متباينة ، كما أن الناس فى قدراتهم وإمكاناتهم مختلفون ، فقد تغلب على الشخص الأمانة أو القوة ، وقد تجتمعان فيه معا ، بقدر أو بآخر .. وقد يتميز فى التخطيط عن التنفيذ أو فى الأعمال الفكرية على اليدوية.. ومن ثم تكون العبرة بمطابقة مواصفات إمكانيات الشخص لمواصفات ومتطلبات العمل الذى سيختار لاضطلاع به والقيام عليه .

وليس يخفى أن إحسان الاختيار فيما يوكل إلى الناس من مهام واعمال إنما هو ركيزة التقدم والحضارة للجماعات والدول ، وأن الأمم التى تروم النهضة لنفسها فى حاضرها ومستقبلها ، تهتم بذلك فتحسن الاهتمام والهدى المحمدى هو على رأينا قد سبق أمم الحضارة جميعا .. فى هذا المضمار بنيف وألف عام ، ثم هو أضاف الى جانب المصلحة التى تقيسها العقول فى عالم الماديات ـ أضاف مزية أخرى أكرم وأجدى من كل المزايا ، الا وهى استجلاب المثوبة والرضوان بإحسان الاختيار .. وحسب المؤمن هذا كله ليضع الهدى النبوى نصب عينه ويراقب الله فيما تأتمنه أمته عليه وتعهد إليه به.

سلوك الوالى

عن أبى حميد الساعدى قال : استعمل النبى ﷺ ابن اللتبية على صدقات بنى سليم فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا إهدى إلى فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال « مابال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلى أفلا قعد فى بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى اليه أم لا ؟ والذى نفسى بيده لاينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إما بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبعر.

ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه وقال اللهم هل بلغت اللهم فاشهد » .

يبين الحديث الشريف أمورا ثلاثة هى دستور الولاية

أولها اسلوب الولاية فالوالى عامل للدولة لايمتاز على فرد منها فيما وراء ذلك وهو يؤدى عمله بالمعروف لقاء ما تفرضه له من أجر ولايحق له أن يحصل من أحد من الناس على ميزة أو هدية لقاء عمله ولو كانت تافهة فإن فى ذلك شبهة استغلال سلطته والانتفاع من ادارته ، ذلك أن الوالى اذا فسد فسدت الرعية وصار

أمر الدولة إلى ضياع وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يقفون على هذا المعنى ينفذونه فى أنفسهم واهليهم فقد حدث أن اشترى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما إبلا هزيلة وساقها إلى الدمى ، فلما سمنت ذهب بها الى السوق ليبيعها فلما رآها عمر قال لابنه يوضح له موضع الريبة فى كسبه : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين ياعبد الله بن عمر خذ رأسمالك واجعل الربح فى بيت مال المسلمين .

ثانيها رقابة الأمير لولاته فهو لايزال يلاحقهم بنظره ويتنسم أخبارهم حتى يعلم كيف يعاملون الرعيه وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ماعلى ؟ قالوا : نعم : قال لا حتى أنظر فى عمله ، أعمل بما أمرته أم لا : وقد كانت نتائج هذه الراقبة وآثار هذه المحاسبة التزام الولاة ﴿ لجادة الحواب ورعاية الحقوق والبعد عن المظالم . ومن ذلك ماورد بالحديث الشريف من محاسبة النبى ﷺ لوالى الصدقات حتى لايتفشى الاهمال أو تهدر حقوق الناس ، أو تنتهب اموال الدولة ، وقد سار الخلفاء على هذه السنة فقد حاسب عمر بن الخطاب أبا هريرة بعد أن ولاه البحرين حسابا عسيرا فقال له : ياعدو الله أسرقت مال الله ؟ قال لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكنى عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم قال : خيلى تناسلت وعطائى تلاحق وسهامى تلاحقت فقبضتها منه .

وثالثها الجزاء الدنيوى والأخروى : فها هو رسول الله ﷺ يغضب غضبا شديدا على ابن اللتبية لقبوله الهدايا من الناس وينذره عقاب يوم القيامة بأن يطوق عنقه ماحمل من غلول وما

قبل من هدايا وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو إليه أهل مصر من واليها عياض بن غنم فأمر الخليفة باحضاره وكان رجلا بدويا ، فلما رأى من ريف مصر ابيض سمن ، فقال له منتهزا : استعملتك وشرطت عليك شروطا فتركت ما امرتك به وانتهكت ما نهيتك عنه أما والله لاعاقبنك عقوبة إبلغ إليك فيها ، ثم أتاه بدراعه من كساء وعصا وثلاثمائة شاه من شاء الصدقة وقال له : البس هذه الدراعة وقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته وهذه خير من عصاه ، اذهب بهذه الشاة فارعها فى مكان كذا وكذا ـ وكان ذلك فى يوم صائف ولا تمنع السائل من ألبانها شيئا واعلم أنا آل عمر لم نصب من شاة الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئا فكان فى هذا الدرس ما أعاد الوالي إلى صوابه فرده عمر فكان خير عامل .

الشح مهلك

أيها الاخوة المؤمنون .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال رسول الله ﷺ « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » فى هذا الحديث الشريف - أيها الاخوة يحذرنا الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه من رذيلة هى أم الرذائل إذا تفشت فى قوم أشاعت فيهم المهالك وانزلت بهم النوازل .. تلك هى رذيلة الشح أو البخل أو الحرص والامساك والتقتير.

ولقد أهلك الشح من قبلنا أقواما فحملهم على أن يستحلوا محارمهم وأن يسفكوا دماءهم وأحل بينهم الكذب مكان الصدق ، والظلم مكان العدل والقطيعة مكان الوصل والتواد والتعاون ، والضعف مكان القوة ، ان الشحيح لايواجه مطالب العطاء والبر إلا بالكذب ولايغذى نوازع شراهته وجنونه بالمال إلا بالظلم ولايقيم بينه وبين الناس إلا سدودا من النفور والكراهية والعزلة .. وهو بذلك خطر على أمن المجتمع وقوته وتماسكه وصلاحه .

ولذلك توعد القرآن الكريم هؤلاء الاشحاء بقوله تعالى : ﴿ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ،

بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ﴾ ووعد الذين يتقون شح أنفسهم بالفلاح فى قوله تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

وفى الهدى النبوى الشريف كثير من الاحاديث التى تنهى عن الشح والبخل .. يقول الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه السخى قريب من الله ، قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة قريب من النار ويقول ﴿ ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع الى جنبه ﴾ ويقول أيضا : شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليها الشبعان ويحبس عنها الجائع .

ومثلما نهى القرآن والسنة عن البخل والشح فقد حضنا على الكرم والسخاء والبذل والانفاق فى سبيل الله تعالى وفى سبيل الخير العام والبر بالفقراء والعاجزين عن الكسب وكان رسول الله ﷺ أجود الناس وأيسر الناس وأكرم الناس ، ولم يكن جوده لكسب محمدة أو اتقاء منقصة بل كان فى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله وكان كرمه إيثارا على نفسه وأهله ، فهو يعطى أحوج ما يكون إلى مايعطيه ويبذل الكثير وهو محتاج الى القليل وماسئل عن شيء قط إلا أعطاه ، وماسئل شيئا فقال للسائل لاقط ـ قال الشاعر المؤمن

ماقال لاقط إلا فى تشهده   لولا التشهد كانت لاؤه نعم

أمور ينكرها الإسلام

روى الامام مسلم عن بعض أزواج النبى ﷺ أنه قال « من أتى عرافا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » وفى رواية أخرى « من أتى عرافا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، العراف هو الحازى أو المنجم ، وهو الذى يدعى علم الغيب ويستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها وكل هذا من باب الكهانة كما قال القاضى عياض رضى الله عنه قال أبو عمر بن عبد البر - من المكاسب المجمع على تحريمها الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء .

ونحن نسوق هذا الحديث لما يلجأ اليه بعض الناس من إتيان المنجمين والمشعوذين والكهان وانخداع كثير من الناس بأقوالهم فحصلوا منهم على السراب فضلا عما دخل على عقيدتهم من فساد وهذا من الكبائر ، ولذا قال رسول الله ﷺ « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »

روى الامام مسلم أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن الكهان فقال « ليس بشىء فقالوا

يارسول الله إنهم يحدثون أحيانا بالشيء فيكون حقا فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة .

قال رب العزة سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾.

روى الامام البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مفاتيح الغيب خمسة لايعلمها إلا الله لايعلم ماتفيض الارحام إلا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله ولاتدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله »

قال عز وجل ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب إلا الله ﴾ .

قال علماؤنا أضاف الله سبحانه وتعالى علم الغيب إلى نفسه فى غير ما آية فى كتاب الله ، فمن قال إنه ينزل الغيث غدا وجزم فهو كافر ومن قال إنه يعلم ما فى الرحم فهو كافر فإن لم يجزم وقال إن النوى ينزل الله به الماء عادة ، وأنه يسبب الماء عادة ، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق فى علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له ألا يكلم به فإن فيه تشبيها بكلام أهل الكفر وجهلا بلطيف حكمة الله تعالى لأنه سبحانه وتعالى ينزل المطر متى شاء ، وحيثما أراد .

أما من ادعى الكسب فى مستقبل العمر فهو كافر ، أو أخبر عن الكائنات المجملة أو المفصلة بداياتها ونهاياتها فلا ريبة فى كفره.

أما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر قال العلماء إنه أمر

يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسبما أخبر الله عنه فى قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ .

أيها المؤمنون ، من كل ماتقدم نعرف أن الله تعالى عنده علم الغيب ، وبيده الطرق الموصلة إليه ، لايملكها إلا هو فليكن اتجاهنا إليه ، وتوكلنا عليه ، فلا معقب لحكمه ، ولاراد لفضله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أمور لا يقرها الإسلام

روى الامام أحمد وأبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال« إن الرقى والتمائم والتولة شرك».

يؤكد رسول الله ﷺ أن من يتخذ شيئا من هذه الأمور يقصد النفع أو الحفظ، أو دفع مكروه أو قضاء حاجة، فقد أشرك والعياذ بالله، لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله، وليس لمخلوق من مخلوقاته أن يدعى لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا أن يدعيه أحد له.

وقد وصف الله تعالى قومه يدعون الايمان بينما يتسرب إلى قلوبهم الشرك عن طريق هذه الأمور ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ مشركون فى الخوف من قوة غير قوة الله كحاكم أو ظالم أو صاحب جاه، مشركون فى جهاد لتحقيق نفع أو دفع ضر ولكن لغير الله مشركون فى عبادة يلحظ فيها وجه مع وجه الله تعالي، ولذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل».

وفى مسند الامام أحمد من حديث عقبة بن عامر ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقول

الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى فشركه وشريكه».

وروى الامام أحمد عن أبى سعيد بن أبى فضالة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادى مناد ـ من كان أشرك فى عمل عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

أيها المؤمنون، هذا هو الشرك الخفي، الذى يحتاج إلى اليقظة الدائمة للتحرز منه ليخلص الايمان، والكثيرون لا يكلفون نفوسهم عناء تحرى الحق.

وروى أبو داود عن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : «الطيرة شرك ـ قالها ثلاثا».

وروى عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من رجعته الطيرة عن حاجة فقد أشرك» قيل يارسول الله وما كفارة ذلك ؟ قال: «أن يقول أحدهم اللهم لاطير إلا طيرك ولاخير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته».

وفى رواية اخرى «إذا وجد ذلك أحدكم فليقل اللهم لاياتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» ثم يذهب متوكلا على الله فإن الله يكفيه ماوجد فى نفسه من ذلك وكفاه الله تعالى ما يهمه.

أيها المؤمنون إن جميع المقادير بيد الله سبحانه وتعالي، وهو جل شأنه الذى يدير الأمر، لا يشرك فى حكمه أحدا، ولا يعلم مخلوق شيئا من الغيب، لأن الله تعالى لا يطلع على غيبه أحدا، فلنجأ إلى الله ولنتوكل عليه، ولنؤمن به، فإذا استعنا به أعاننا، وإذا سألناه أجابنا، وإذا استنصرناه نصرنا، فهو سبحانه الذى بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله.

اليمين الكاذبة

قال الهادى البشير ﷺ «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة».

وإذا كان الثناء على السلعة مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد فى الرزق فإن اليمين الكاذبة أشد واقسي.

ويوجب الشرع على البائع أن يظهر عيوب سلعته خفيها وجليها، ولا يخفى منها شيئا.

فإن أخفاه كان ظالما غشاشا تاركا للنصح فى المعاملة مما هو واجب شرعا.

مر رسول الله ﷺ على رجل يبيع طعاما فاعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال ما هذا ـ قال الرجل أصابته السماء أى مطر من السماء فقال ﷺ «هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ـ من غشنا فليس منا».

وقال ﷺ لا يحل لأحد أن يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه.

فالمسلم لايرضى لأخيه المسلم إلا ما يرضاه لنفسه، والمسلم الحق يعتقد أن تلك الأمور الملتوية لاتزيد الرزق بل تمحقه وتذهب

بركته والمال الذى يجمع عن طرق غير مشروعة يهلكه الله دفعة واحدة.

روى أن رجلا كانت له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه، فجاء سيل أغرق البقرة وما عنده من متاع ونجا هو وأولاده، فقال بعض أولاده إن تلك المياه هى التى صببناها فى اللبن تجمعت واجتاحت كل شئ.

والمال لا يزيد بالحرام ولا بالخيانة، كما أنه لا ينقص من صدقة وقد يزيد الله القرش الواحد ويبارك لصاحبه فيه حتى يكون سببا لسعادته بينما قد ينزع الله البركة من الآلاف حتى تكون سببا لهلاك صاحبها بحيث يتمنى الافلاس منها.

وفوائد أموال الدنيا أيها المؤمنون تنقضى بانقضاء العمر، وتبقى مظالمها وأوزارها، فكيف لعاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير.

والخير كله فى اتباع قواعد الدين فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وجميع أنواع التعامل بين الناس.

قال رسول الله ﷺ «رحم الله أمرا سهل النبيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء».

فليعرف كل منا أيها الاخوة أمور دينه فى حياته، فى معاملاته، فى أعماله كلها فمن اتبع هدى الله فلا يضل ولا يشقي.

وليتجنب كل مسلم كل كذب فى يمين أو حلف، فإنه محاسب على ما يخرج من فمه قال تعالى ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾

شياطين الإنس والجن

روى عن عوف بن مالك عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن» قال قلت يارسول الله وهل للانس من شياطين؟ قال «نعم هم شر من شياطين الجن».

فى الحديث الشريف يرشدنا الرسول ﷺ ضمن إرشاد أبى ذر إلى التعوذ بالله تعالى من شياطين الانس والجن، ويبين ﷺ أن شياطين الانس أشد وأنكى من شياطين الجن.

فإن شياطين الجن ليس لهم سلطان على المرء إذا هو أطاع ربه وانخرط فى ذكر أو تسبيح أو صلاة، وكان قلبه عامرا بذكر الله والايمان به ، وأخبرنا القرآن الكريم طريق محاربة الشيطان فقال سبحانه ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ وقال جل وعلا ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ ويوضح الامام الغزالى الامر فيقول: إن الخواطر التى ترد على القلوب هى التى تحرك الارادات، فإن النية والعزم والارادة إنما تكون بعد خطور المنوى بالبال، فمبدأ الافعال الخواطر، والخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم

يحرك النية والنية تحرك الاعضاء، والخواطر تنقسم إلى ما يضر ويدعو للشر، وإلى ما يدعو إلى الخير، فالخاطر المحمود يسمى إلهاما، والخاطر المذموم يسمى وسواسا، وهذه الخواطر حادثة، وكل حادث لابد له من محدث، فالملهم بالخير ملك، والموسوس بالشر شيطان.

قال تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، قال رسول الله ﷺ «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع» وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة، ومجرى الشيطان الشهوات فمن كبح جماع شهواته نجا من وساوس الشيطان.

أما شيطان الانس، فهو الخطير الذى يحتاج إلى مجاهدته والتخلص منه حتى ينجو المرء من أحابيله ودسائسه، وفتنته ومؤامراته، لأنه يقوم بنفس الدور الذى يمثله شيطان الجن من وسوسة وتزيين للشر ويزيد عليه أنه يصاحب المرء حتي يتم له ما أراد، فيقع فى الخطيئة ويرتكب ما زينه له من جرائم وآثام.

وشيطان الإنس يصاحب المرء على أنه الصديق المخلص والأخ الوفى والصاحب الناصح، يفرش له طريق الغواية بالورود المصطنعة، ويمنيه بالوعود الكاذبة، ويغرقه فى بحار الأمانى الباطلة، بينما هو فى الجانب الأخر يحيك له الدسائس ويدبر له المؤامرات، ويفتح عليه ابواب الفتن، ويغرى به أهله وأصحابه، ويكيد له عند ذوى النفوذ،وسرعان ما يتلون، ويلبس لكل وقت لونه، ولكل مكان لباسه، لينخدع الناس فيه، ويعتقدون فيه الصدق، ويظنون به الخير.

وإذا حدث واكتشف المرء زيفه وباطله سرعان ما ينقلب عليه ويقلب له ظهر المجن، ولا يجد بدا من عداوته السافرة مع أنه كان يظهر منذ قليل خلاف ذلك.

هـذا النـــوع مـن الـناس جـد خطيـر، يدعـو إلـى الشــر ويحـث عليـه ويعـجب به، يزينـه للناس حـتى يرتكبـوه فى شتى صوره وأشكاله.

وقـد أمـرنا رب العـزة سبحانـه وتعالى بالتـعـوذ بالله من شـياطين الانـس والجـن، فقـال سـبحانه ﴿قل أعوذ برب الناس ملـك النـاس إله الـنـاس مـن شـر الوسـواس الخـنـاس، الذى يوسـوس فى صـدور النـاس، مـن الجـنة والناس﴾ وقال الرسول ﷺ لأبى ذر ـ هـل تعـوذت من شـياطين الانـس والجـن فقـال أبو ذر ـ وهـل للانس من شـياطين ـ فقـال ﷺ «نعم هم شر من شياطين الجن».

شر ما فى الرجل

عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «شر مافى الرجل شح هالع، وجبن خالع» صدق رسول الله ﷺ.

أيها الاخوة المؤمنون فى هذا الحديث الشريف من الهدى النبوى الكريم، يحذرنا رسول الله ﷺ من مهلكين أكيدين أولهما: البخل الشديد الذى يحمل صاحبه على الهلع والفزع، إذا دعى إلى البذل والانفاق فى سبيل الله، وأداء حق الله وحق الأمة فى ماله، وثانيهما، الجبن الظاهر الذى يخلع قلب صاحبه إذا دعا داعى الجهاد، وإذا طلبت شجاعة الرجال عند الأهوال.

وكل أمة من الأمم، تحتاج فى مراحل جهادها وأوقات أزماتها، إلى الباذلين المنفقين، وإلى الشجعان الميامين.. فإذا أصيبت أمة فى هذه الفترات العصيبة بالبخلاء والجبناء، كانت مهددة بالافناء أو الاذلال.

من هنا. جاء تحذير النبى ﷺ من الشح الهالع والجبن الخالع، وتأكيده على أنهما أسوأ مافى المرء من صفات.

ومن هنا كان إطراء القرآن والسنة فى كثير من الآيات

والاحاديث لشـمائل السخـاء والكرم والجود، والجرأة والشجـاعة والاقـدام، باعتـبارهـا أصولا ثابتـة لمكارم الأخـلاق، ومنبعـا لكل فضـائل النفس العظيمة القوية المؤمنة.

ومن هنا أيضا، ضرب لنا رسول الله ﷺ بمواقفه وأفعاله أروع مثل للجود والبذل والنجدة والثبات والشجاعة.

يقول عبـد الله بن عمر رضى الله عنهمـا : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ »

فقد كان رسول الله ﷺ قدوة ومـثلا أعلى للناس فى الشجاعة ولنستمع إلـى ما يقوله الامام على بن أبى طالب كـرم الله وجهه: «كنا إذا حمى البأس واحمرت الصـدق، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه!

وعاش رسول الله ﷺ حياته كلهـا قدوة ومثلا أعلى فى النجدة وتصفه السيدة خـديجة أم المؤمنين رضى الله عنها قائلة له «والله لا يخـزيك الله أبدا... إنك لتـحـمل الكل، وتكسب المعـدوم، وتصل الرحم، وتقرى الضيـف، وتعين على نوائب الحق.

أما عن جوده، فيـقول عبدالله بن عباس رضى الـلـه عنهما كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

هكذا أعطانا رسول الله ﷺ القدوة والمثل... وحذرنا من شر ما يصيب الناس من منقصة الشح والجبن.

فلنهتد ـ أيها الاخوة ـ بهـدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولنحذر عن مخالفة طريقته وسنته.

التوكل على الله
يفتح أبواب الرزق

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا».

صدق رسول الله ﷺ

فى هذا الحديث النبوى الشريف توصية وبشري... توصية بالتوكل على الحى القيوم، وبشرى للمتوكلين عليه سبحانه حق توكله، بأنه جل جلاله شاملهم برعايته وتأييده، رازقهم بما يرضيهم، وواهبهم من سنده ما يغنيهم ويكفيهم.

هذا الامر النبوى الشريف بالتوكل على الله، يلتقى بآيات قرآنية كريمة أمر فيها الوكيل القوى بالتوكل عليه تعالت قدرته، والانابة إليه وحده، فهو سبحانه الخالق البارئ، القادر المقتدر، يكفى بقدرته ورحمته من يأوى إليه، ويعين من يستعين به،، يقول تبارك وتعالى فى كتابه العزيز ﴿وتوكل على الحى الذى لا يموت﴾ (الفرقان ٥٨) ويقول: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره﴾

صدق الله العظيم (الطلاق ٣)

هذا الامر الكريم بالتوكل على الله الواحد القهار، والوعد المبشر للمتـوكلين بالفوز والمثـوبة، إنما هو تعبـير صــادق عما يـدل عليه المتوكل على الله، وما يؤدى بصاحبه اليه.. ذلك أن التوكل على الله تعـالي، والاستـعانـة به وحده، دليل على إيمـان العبـد بربه إيمانا عميقا راسخـا، بريئا من الإشراك والارتياب، وقد وصف المؤمنون فى مـحكم التنزيل فـيمـا وصفـوا به ـ بأنهم المتـوكلون على الله سبـحانه وتعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكـر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾

صدق الله العظيم (الانفال ٢٠)

ثم إن التـوكل ـ فوق دلالـته على الايمان العـمـيق ـ طريق إلى مزيد من الرسوخ فـيه، والاستزادة منه، لانه يربط وجـدان العبد وآماله بالمولى جل عــلاه وبقدرته، ويجعـله يزاوج فى فكره دوما بين ما يرنو إليه ويتطلع لتحقيقه، وبين هذه القدرة العزيزة العاقلة المهـيمنة التى يلوذ بهـا ويلتـجئ إلى رحابهـا، فيـزداد على إيمانه إيمانا، وعلى يقـينه يقينا،، لذلك كان المتـوكلون أحبـاء إلى الله عز وجل كما أخبر فى مـحكم تنزيله: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ صدق الله العظيـم (آل عمـران ١٥٩)، ولذلك أيضا وعدهم سـبـحـانه وتعالي، ووعدهم رسوله الكريم بالفوز والثواب.

والتـــوكل الـذى تأمـر بـه الآيـات البـيـنـات ويـحث عـلـيـه الهـادى البـشـيـر عليه الصلوات، إنمـا هـو المقـرون بالعـمــل، والايجـــاب، وإتخـــاذ الوسـائل والتـــدابيـر... أمـا التـواكل فهو تقـاعـس واســتنامــة نهـى الإســلام عنـهــا وحـذر منهـــا، وللرســـول الكـريم عليـه أفضــل الصـلوات والتسـليمات كثيـر من الاحـاديـث والمواقـف التـى نـوه فـيـهـا بالعـمــل ومنزلة العاملين، وحث علـى السعى فى سبـيل الرزق.؟ وفيمـا قرأناه من حديث اليـوم تواكب واتساق حكيم مع كل ذلك، فهو عليـه الصلاة

والسلام لم يتخذ فى تشبيهه مثلا بقاعد يأتيه الرزق حيث قعد، ولا بمتكاسل يجد فى كسله ما يرتجيه ويأمله، وإنما شبه عليه الصلوات عطاء المولى تبارك وتعالى للمتوكلين بعطائه عز وجل للطير التى تسعى ولا تقعد ليأتيها الرزق حيث هي: تغدو خماصا (أى جوعى فارغة الحواصل) وتروح بطانا.. أى تعود شبعانة ممتلئة البطون.. وفى ذلك إشارة للمؤمنين بأن التوكل على الله تبارك وتعالى ينبغى أن يقرن بالسعى وباتخاذ الوسائل والتدابير، وأنه كالايمان يجب أن يصدقه العمل ويؤازره... يقول عليه الصلاة والسلام: «ليس الايمان بالتمني، ولكن ما وقر فى القلب، وصدقه العمل».

صدق رسول الله ﷺ

وصية نبوية

عن أبى حاتم المزنى قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير».

تلك وصية سيد المرسلين لأمته. فهى تنبيه لما يفضل به الرجل إذا خطب فالدين والخلق هما أساس التفضيل فمن أوتيهما فقد أوتى الخير كله. وذلك بمقتضى قول الله تعالي: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

وقد زوج النبى ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش إلى مولاه زيد ابن حارثة وهو عبد أسود ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور. فالرجل الصالح يحفظ المرأة ويرعاها ويكون لها رداء ووقاء وقد ذكر بعض الصالحين ما يعنيه حسن الخلق معها فقال: ليس هو كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها، والصبر على غضبها.

روى أن بلالا وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخى صهيب كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا

الله فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله.

قالوا بل تتزوجان والحمد لله. فقال صهيب لبلال : لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال: اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق.

ومن آداب الخطبة ألا يخطب المرء على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك فليس الأمر مزايدة أو تسابقا.. ولكنه تفاهم بالمعروف حتى لا تسود البغضاء وتشيع الشحناء.

فإذا كانت الخطبة شاهد الخطيبان كل منهما صاحبه فالمشاهدة عند الخطبة مأمور بها احترازا من الغرور قال الاعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم. ثم بعد ذلك عليهما أن يتجنبا الخلوة حذر الوقوع في المعصية، ومخافة الفتنة والأفضل في ذلك التعجيل بعقد الزواج حرصا على الفضائل ودفعا للرذائل.

والخطيب الفاضل هو من قادته شهامته إلى البعد عن الضلال وتمسك بأهداب العفة والتقي. يقول أبو سهل الساعدي: دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي : يا أبا سهل إن رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة؟ قلت أي والله فمن هو ؟ قال: إني لارجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال: إني لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الأخرة لا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن كنت حدثت نفسي بريبة قط.

ومن آداب الخطبة أيضا عدم المغالاة في المهور تيسيرا للزواج يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

«خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا».

وإذا كانت المغالاة في المهر غير مستحبة فكذلك شأن سؤال الرجل عن مال خطيبته فلا ينبغي أن يخطبها طمعا في مالها.

ولعل خير ما نسوقه في هذا المجال ماروى من أنه لما حضر

أبو طالب نكاح رسول الله ﷺ على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال . الحمد الله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع اسماعيل وعنصر مضر، وجعلنا حفظة بيته وساسة حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس ثم إن محمدا بن عبدالله ابن أخى من لايوزن به رجل من قريش إلا رجح به برا وفعلا وكرما ومجدا ونبلا فإن كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل.. وخطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، فأجابه عمرو ابن اسد بقوله : هذا الفحل لا يجدع أنفه وإنه كفء كريم لا يمكن أن يرد أو يهان.

نداء إلى الشباب

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

الباءة مؤنة النكاح ـ والوجاء الوقاية.

يرشد رسول الله ﷺ أمته إلى الزواج استكمالا لدينها واستكثارا من أبنائها فإن ذلك أكثر غضا للبصر وأشد إحصانا للفرج .

والانسان فى حياته مفطور على حب البقاء ولا يكون ذلك إلا بانشاء الأسرة إذ هى السبيل إلى امتداد بقائه، واستمرار آثاره، وخلود ذكراه، يقول الله تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾

وقد أرشد النبى صلوات الله وسلامه عليه الرجل إلى حسن اختيار زوجته اذ هى شريكة حياته يسكن إليها قلبه وتشاركه فرحه وترحه وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام «ألا أخبركم

بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر اليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها أطاعته».

وقد أباح الاسلام للرجل كما أباح للمرأة أن يرى كل منهما صاحبه قبل إتمام العقد وأن يستمع إليه حتى يكون الزواج مؤسسا على الألفة والمودة ـ وتكون هذه الرؤية بحضرة بعض الأهل والأقارب ـ فقد روى أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبى «أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»

أما الخلوة وخروجهما منفردين فليس من الاسلام فى شئ كما أنه مناف للخلق مود بالكرامة.

ومنهج الاسلام فى اختيار الزوجة يرفع من قدر ذات الدين والخلق مع استحباب صفات الحسب والجمال والمال.. دون أن يطغى على أى منها على الدين والخلق.. يقول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وإذا كان حسن اختيار الزوجة مأمورا به فإن حسن اختيار الزوج أوجب.

روى أن رجلا جاء إمامنا الحسن فقال: قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوجها؟ قال: ممن يتقى الله فإن أحبها اكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.. فالرجل التقى العفيف الذى يرعى حرمات الله ويصون كرامة الناس حرى أن يكون موضع التقدير يقول النبى ﷺ : «عفوا تعف نساؤكم».

ومن وصايا الاسلام ألا تكون الخطبة فترة يلتقى فيها الخطيبان ويتزاوران بعيدا عن الأهل فان ذلك محظور صونا للعرض وحفظا للشرف وأداء للأمانة يقول ﷺ: «لا يخلون رجل

بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم» لذلك كان إجراء العقد أحفظ للدين وأعف للنفس وأبعد للشبهات، يقول ﷺ «اتقوا مواطن الشبهات» ويقول : «من سلك مسالك التهم اتهم ولا أجر له».

فيامعشر الشباب ويامعشر الآباء استبرئوا لدينكم، وصونوا حرماتكم وتمسكوا بآداب دينكم، وسيروا على هدى نبيكم فمن اتبع سبيله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

طريق الولاية

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشي بها ، ولئن سألنى لاعطيته ولئن استعاذنى لاعيذنه » .

قال العلماء ، الولى ، هو من تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه الله سبحانه وتعالى بالقرب والحفظ والتأييد ، فالولى هو القريب من الله تعالى ، لتقربه إليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه والاكثار من نوافل العبادات ، مع كونه لا يفتر عن ذكره ولا يرى غيره بقلبه لاستغراقه فى نور معرفته فلا يرى إلا دلائل قدرته ولا يسمع إلا اياته ، ولا ينطق إلا بالثناء عليه ، ولا يتحرك إلا فى طاعته وهذا هو التقى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ إن أولياؤه إلا المتقون ﴾ « آذنته بالحرب » اى أعلمته بأنى محارب له ، اى أعامله معاملة المحارب من التجلى عليه بمظاهر الجلال والعدل والانتقام ،

ومن عامله الحق بـذلك فانه لا يفلح ، فهـو من التهـديد فى الغاية القصـوى ، وعداء الولى ، هو ايذاؤه وعناده حسـدا وحقدا وسـبه وشتمه وتصغير شأنه وهضم حقوقه والنيل منه .

وفى الحـديث المبارك يعـرفنا الحق سـبحـانه وتعـالى بطريق الولاية ، وسبيل اسرب منه ، وهو التقـرب إليه بالنوافل بعد اكمال الفرائض واتمام الواجبات ، فإن الله سبحانه وتعالى يثيب على اداء الفرائض والواجبـات ويعاقب على تركها واهمـالها بخلاف النفل ، إذ كان الفرض والواجب احب إلى الله عز وجل .

وإذا استكثر العبد من النوافل طاعة لله وابتغاء التقرب إليه بأداء التطوعـات ظاهرا كـالصلاة والصـيام والـصدقـة وقراءة القـرآن والذكر ، وباطنا كالزهد والتـوكل والرضا . والورع وما إلى ذلك ، إذا اكتمل للعبد هذا ، فهو على طريق القرب من الله حيث ينتهى به المقام إلى حب الله سـبحانه وتعالـى ، ومحبة الله تعـالى له فإذا به يتكلم بأمـر الله ، وينطق بحق الله ، ويسـعى فى طاعـة الله ويبطش فى سبيل الله ، وينعم بنصر الله ، ويتمتع بتأييد الله .

أحباب الله تعالى

قال رسول الله ﷺ اليسير من الرياء شرك ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الاتقياء الاخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة يعلمنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن المؤمن الصادق فى ايمانه يجب ان يكون ظاهره كباطنه ، وأن يكون صادقا مع نفسه واخوانه ومجتمعه ، لا يرائى ولا ينافق ، لأن الرياء من الشرك ووهو محبط للعمل ، مضيع لثوابه ، ولأن أى عمل مهما بدا عظيما فى نظر الناس فإن عامله لا يؤجر عليه يوم الجزاء ، إلا إذا كان بصدق واخلاص ، والله جل علاه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له وحده غير مقصود به سواه ، فالذى يصلى ليقال انه عابد ، والذى قاتل لنصرة الحق واعلاء كلمة الله ، والذى قرأ القرآن ليقال قارىء أو تعلم العلم وعلمه ليقال عالم والذى انفق ماله ليقال جواد كل هؤلاء تسعر بهم النار يوم القيامة ، لأن الاخلاص لم يكن رائدهم فيما قاموا به من عمل ، ورسول الله ﷺ يحذر من شرك السرائر فيقول : « اياكم وشرك السرائر » فيسأله

اصحابه وما شرك السرائر يا رسول الله ؟ فيقول : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه فذلك شرك السرائر » كما بين رسولنا الكريم أن اليسير من الرياء شرك ، وفى هذا الصدد يقول ﷺ : قال الله عز وجل « أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فانا برئ منه ، وهو للذى اشرك » حتى الكلام المعسول المنسق فى حضرة من يخشى بأسه ، مدحا له ، وتقريظا لعمله ، عن غير اقتناع ، بحيث إذا ترك الانسان ونفسه قال غير ذلك يعتبر رياء ونفاقا ، وفى هذا الصدد يروى أن اناسا سألوا ابن عمر رضى الله عنه قائلين : انا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم به إذا خرجنا من عندهم ؟ فقال رضى الله عنه : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ .. إن الرياء والنفاق هما من اخطر الامراض الاجتماعية التى لا يمكن لها إلا ان تثمر هدما وتخريبا ولا يمكن ان يتكون فى ظلالها مجتمع مثالى مؤمن ، يأتى بعد ذلك فى حديث الرسول الكريم معاداة أولياء الله ، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك كل التحذير لأن من عادى وليا لله فقد اعلن الحرب على مولاه ، وما لأحد بحرب الله من طاقة ، وجنود ربك لا يعلمها إلا هو ، كما اوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الله يحب من عباده الابرار الذى يخافون ربهم بالغيب لا تظاهرا ولا رياء لانهم يقصدون بعملهم وجه خالقهم وحده غير مكترثين بما سواه، ومضوا فى حياتهم كالطيف لا يعلنون عن انفسهم ، ولا يباهون بأعمالهم حتى اصبحوا مجهولين بين الناس لم يفتقدوهم إذا غابوا ، ولم يعرفوهم إذا حضروا هؤلاء الناس هم مصابيح الدياجى ، وشموس الهداية ، والمرجون لكل أمر عظيم ، وخطب جلل يقول المراغى فى تفسيره : إن صلاة المرائى باطلة ، على معنى أن القصد منها ، وهو توجه القلب إلى الله واستشعار

سلطانه ، والاذعان لعظمته لم يـحصل ، لأن قلب المرائى انما يتجه إلى من يرائيـه ، لا إلى ذى العظمـة والجبـروت والملك والملكوت ، والذى ينفق ماله رياء الناس غيـر مؤمن ايمانا حقيـقيا ، لأنه يثق بما عند الناس من المدح والثناء ويفضل التقـرب اليهم على التقرب إلى خالقـه ، فكان الله البر فى نظره أهون من الـناس وهذا لا يعد على الحقيقة مؤمنا بالله واليـوم الآخر ، وهـم قرناء الشيطان يقول الله سبحانه ﴿ والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ .

المجتمع الإسلامى كيان واحد

قال الهادى البشير فيما رواه البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا ـ أى اقترعوا ـ على سفينة .. فأصاب بعضهم أعلاه وبعضهم أسفلها .. فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم .. فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا .. فإن يتركوهم وما أرادوا أهلكوا جميعا.. وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا » .

إن الهادى البشير عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ـ يعرض فى هذا الحديث النبوى الشريف ، لقيمة اجتماعية ذات أهمية بالغة.. إنها مسئولية المجتمع بأسره عن كل ما يقع فيه من إخلال بأمنه أو استخفاف بقيمه ، وما أروع هذه الصورة التشبيهية البليغة .. يقدمها لنا من أوتى جوامع الكلم .. صلوات الله وسلامه عليه فى وضوح وجلاء ، فهو يشبه المجتمع البشرى بالسفينة .. ويشبه الناس بركابها ، ثم يجعل من هؤلاء الناس أو من هؤلاء الركاب فريقا قائما على حدود الله ، أى ملتزما بأوامر الله تعالى ، وفريقا متجاوزا لحدود الله تعالى ، مستخفا بأوامره ، يرتكب

المعاصى بلا حياء ، ويأتى ما حرم الله بلا خوف .. وهنا تبدو مسئولية المجتمع ازاء هذا النفر الشاذ المستهتر .. فإذا تركه وشأنه يشعل النار .. فان النار عندما تستشرى ستلتهم الجميع . أو يخرق فى السفينة خرقا ، فإن السفينة عندما تغرق ستبتلع المياه الجميع بلا تمييز وبلا استثناء .

ايها القارىء الكريم : ﴿ يقول الحق تبارك وتعالى : واتقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ ومضمون الآية كما يقول ابن العربى : واتقوا فتنة تتعدى الظالم ، فتصيب الصالح والطالح .. ويقول الامام القرطبى فى تفسيره : فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ولا تزر وازرة وزر اخرى ـ كل نفس بما كسبت رهينة ـ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وهذا يوجب الا يؤخذ أحد بذنب أحد .. فالواجب : أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر ، فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره ، فإذا سكت عليه فكلهم عاص .. هذا بفعله وهذا برضاه .

ايها القارىء الكريم

ما اصيب مجتمع من المجتمعات بشر من التفريط فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر إن هذا التفريط بمثابة الوهن الذى يصيب المجتمع فيدب فى اوصاله .. بل إن هذا التفريط هو السلبية بذاتها ، فهذه السلبية لها منطق اعرج تتذرع به إذا طلبت ان تقول كلمة حق ، أو تقاوم اتجاه باطل .. تقول هامسة : نلج سعد فقد هلك سعيد ترى لذة الحياة فى الهروب من المسئولية ، ولا ترى لذتها فى الايمان بالله والثقة فيه .

أكمل المؤمنين

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال وإن من اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله وقال ﷺ « خيركم خيركم لأهله، وانا خيركم لأهلى » .

فى هذا الهدى النبوى الحكيم توجيه إلى طيب العشرة ، ومراعاة حسن الخلق بين الازواج ، والزوجات كى تتهيأ الحياة الهادئة المطمئنة فى محيط الاسر والعائلات ، ولابد لتحقيق ذلك من سماحة النفوس ورحابة الصدور ، وكرم المعاملة، واتباع قول النبى ﷺ « يسروا ولا تعسروا » فذلك يوحى بوجوب التفاهم الحسن ، وتجنب المؤاخذة والمحاسبة فيما قل أو كثر من الاخطاء والهفوات .

والتجاوز عنها ، والتسامح فيها ، وقد كان نبينا اطيب الناس عشرة مع امهات المؤمنين ، فلم يشتد ، ولم يحتد ، ولم يقس، ولم يغلظ ، ولم يقل لهن يوما إلا خيرا . ولم يكن على جلال قدره ، وعلو مقامه يستنكف عن مزاولة اعمال كثيرة فى البيت مساعدة لهن وتخفيفا عنهن ، وكان كثير الترفق بهن، والتلطف فى الحديث

معهن ، وإذا شكت اليه احداهن تصرفا ساءها من صاحبتها قال لها كلمة طيبة تهدئ ثائرتها ، وترضى خاطرها .

ومن الامثلة على ذلك أن صفية رضى الله عنها شكت إليه أن امهات المؤمنين يتعالين عليها ويفاخرنها بآبائهن العرب ، ولم تكن هى من العرب ، فطيب الرسول خاطرها بقوله « قولى لهن إن ابى هرون ، وعمى موسى وزوجى محمد ».

وهكذا كان يضرب أحسن الامثال لما يجب ان تكون عليه الحياة الزوجية من الهدوء والاستقرار والبعد عما يعكر الصفو ، أو يشوب جو الاسرة بالاكدار .

والحق أن الحياة الزوجية الهانئة هى التى تقوم على اساس من الاخلاق والاداب والمحامد والفضائل التى يصان بها العرض ، ويحفظ بها الشرف ، وتسمو بها الكرامة ، ومن أهم ما يوفر السعادة للزوجين فى حياتهما ان يقيما حدود الله ، ويأتمرا باوامره ، ويتأدبا بآدابه ، ويسيرا فى الحياة على هداه فذلك خير ضمان لانتظام امرهما ، واستقرار عيشهما ، وبقائهما بعيدين عن المشاكل والهموم والمتاعب .

وكل ما يحدث بين الازواج وزوجاتهم من نزاع وشقاق ، وخلاف وفرقة منشأه البعد عن الاحكام الشرعية أو الاداب الإسلامية التى اوضحها الله فى كتابه ، ورسمها الرسول فى سنته غير ان كثيرا من الناس لا يعرفون حدود ما أنزل الله على رسوله ، ولو انهم عرفوا تلك الحدود ، وتقيدوا بتلك القيود لكانت الحياة الزوجية فى بلادنا الإسلامية أسعد حياة وأسماها وأكملها وارضاها . فالإسلام يفرض على اهله أن تكون بيوتهم بيوتا

هادئة ساكنة ، يسودها الصفاء والوئام ، ولا يقع فيها تباغض ولا خصام .

وقد أوصى الله الازواج بزوجاتهم فى كتابه حيث قال: «وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا» كذلك قال النبى ﷺ « لا يبغضن مؤمن مؤمنة إن ساءه منها خلق رضى فيها خلقا اخر ومما اشار به الرسول ﷺ من حقوق الزوج على زوجته ثناؤه على المرأة الصالحة التى إذا امرها زوجها اطاعته ، وإذا نظر اليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله ».

الحب في الله تعالى

روى أن ابو ادريس الخولاني قال لمعاذ ، انى احبك في الله ، فقال له معاذ : ابشرتم ابشر فانى سمعت رسول الله ﷺ

يقول : ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال : « هم المتحابون فى الله تعالى » .

هذه ـ ايها المؤمنون ـ منزلة المتحابين فى الله . فالحب يحقق معنى الاخوة ، وهى صفة المؤمنين قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ والإسلام دين الاخوة الشاملة فقال تعالى : ﴿ وكونوا عباد الله اخوانا ﴾ والاخوة فى الله اسمى درجات الاخوة ، اساسها الحب فى الله لا لارحام بينهم ولا لأموال يتعاطونها يقول النبى ﷺ.

« إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى ، اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » .

وأساس الاخوة أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا

يقـول النـبى الكريم « مـثل المـؤمنين فى توادهم وتعـاطفـهم وتراحمـهم كمثـل الجسد الواحـد إذا اشتكى منه عـضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

ودعوة الـنبى الكريم إلى الاخوة وإلى الحب فى الله دعـوة إلى السمو الانسـانى وإلى الترابط الاجتماعى . ومـا اسرع المؤمنون إلى تحقيق هذا المعنى إلا كان لهم فيـه الخير والفلاح وقد ضرب السلف الصالح خيـر المثل لذلك يتسابقون لتحـقيق معنى الاخوة والمحبة طلبا لوعد النبى لهم فيها قال « ما تحاب اثنان فى الله رلا كان احبهما إلى الله اشدهما حبا لصاحبه » .

وبالاخوة والحب تبنى الامم وتسود الشعـوب وتمتنع البغضاء وتزول الشحناء ويعم السلام وتصلح ذات البين .

وللأخ على اخيه حقوق يصفـها النبى ﷺ فيقول « من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر اعانه » ويقول « مثل الاخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى » .

فواجبنا ايها الاخوة الاحباب ان نحرص على معنى الاخوة وان نجعل اساس هذه الاخـوة هو الحب فى الله لنظفر بحب الله ونحقق وعد نبيه الامين .

قال النبى ﷺ « مـا زار رجل رجلا فى الله شـوقا إليه ورغـبة فى لقائـه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشـاك وطابت لك الجنة» وقال عليـه الصلاة والسلام « إن رجلا زار اخا له فـى الله فأرصد له ملكا فقـال اين تريد ؟ قال اريد أن ازور اخى فـلانا . قال لحـاجة لك عنده ؟ قال : لا. قال : لقـرابة بينك وبينه ؟ قال : لا. قال : فـبنعمة له عندك ؟ قال : لا. قال : فيم ؟ قال : أحبه فى الله قال : فإن الله ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة » .

جعلنـا الله جميـعا من المـتآخـين فى الله ، المتحـابين فى الله ، المتزاورين فى الله ، انه سميع مجيب .

المؤمن القوى

أيها الاخـوة المؤمنون « سـلام الله عليكم ورحمـته وبركاته » .

يقول رسـول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضـعيف ، وفى كل خـير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو انى فعلت كـذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » صدق رسـول الله ﷺ .

أيها الاخوة فى الايمان . فى هذا الهدى النبوى الشريف ، يفتح لنا الهادى البـشير ـ صلـوات الله وسـلامه عليـه ـ اقوم طريق إلى العزة والـكرامة والسيـادة ، وأهدى سبـيل إلى القوة الشـاملة فى العلم والعمل .. فى البـدن والعقل .. فى القلب والروح .. فى الدين والدنيا .. ذلك هو طريق الإيمان .

والإيمـان يزيد وينقص ، ويقوى ويـضـعف . وتبـعا لذلك فـإن عمل المؤمن وجده واجتـهاده وحركته وطاعته وسـعيه تزيد ايضـا وتنقص تقوى وتضـعف . وفى كل ذلك فإن المؤمن القـوى افضل عند الله واحب من المؤمن الضعيف ،ولكن لكل منهما مكانته وأجره عند الله ، وفى كل منهـمـا خـيـروإن اختلفـت مراتب هذا الخـيـر

ودرجاته . مصداق ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما ﴾ .

وفى معنى الخيرية فى كل ، إشارة إلى أن المؤمن الضعيف فى يقينه وعمله واجتهاده وسعيه وطاعته ، مطالب ان يترقى فى كل ذلك ليزيد فيما احرزه من خير قليل حتى يصير كثيرا ، وليجتاز منطقة الضعف إلى منطقة القوة .

ولا يكتفى رسول الله ﷺ ، وهو الحريص علينا ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، لا يكتفى بحض المؤمن الضعيف على القوة ، بل يرسم له ايضا طريق هذه القوة ، بأن يكون حريصا على ما ينفعه وينفع الناس ، قوى الارادة فى تحصيل ما يصلح شأنه وشأن غيره من المؤمنين ، وأن يستعين بالله فى كل أمر ولا يعجز ، فمن طلب العون من مصدر العون كله وهو الله ، لا يركن إلى عجز ابدا .

يقول رسول الله ﷺ : « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس « أى العقل » ، فإذا غلبك أمر فقل . حسبى الله ونعم الوكيل» .

إن الله تعالى لا يرضى للمؤمنين عجزا ولا استكانة ولا ضعفا وهو سبحانه يدعوهم إلى الابتعاد عن مواطن اليأس والضغوط والعجز والضعف ، فيقول جل شأنه : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ .

وعلى طريق القوة أيضـا ، يعلمنا رسول الله ﷺ الا نطيل الندم والتحسـر إذا اصابنا ما يؤلم أو يغضب بل نؤمن بأن مـا يصيبنا هو قدر الله ومشيئته ، فيجب ألا نفتح فى نفوسنا ثغرة للشيطان ، بل نقبل على الله تعالى بكل الرجاء فيه والثقة به والاعتماد عليه .

ذلك هو طريق القوة الشاملة الذى لا طريق سواه .. وما اصدق الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول : ﴿ من أحب أن يكون اقوى الناس ، فليتوكل على الله ﴾ . وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

باب التوبة مفتوح

قال الهادى البشير ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »

التوبة معناها الرجوع والعودة ، فيقال تاب إلى الله ، أى رجع إلى طريق الله القويم ، وسار على الصراط المستقيم بعد ان كان قد سار فى طريق الشيطان الذى زين له الخطيئة ، وأوقعه فى الذنوب .

وفى الحديث الشريف يعرفنا رسول الله ﷺ أن الله تعالى يفتح باب التوبة ليلا ونهارا ، ويطلب من عباده أن يتوبوا كلما هووا إلى درك المعصية ومقارفة الذنوب .

وكم حث فى محكم التنزيل على التوبة ، حث الجميع لينضووا تحت هذا اللواء الواقى من العذاب والعقاب ـ قال تعالى ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ، وكل توبة صحيحة إنما هى مقبولة بإذن الله ، قال النبى ﷺ لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وسئل ما علامة التوبة قال الندامة ، أى الندم على ما ارتكبه الإنسان يليه الاصرار على الرجوع إلى الله تعالى

بالعمل الصالح ، قال ذو النون المصرى «حقيقة التوبة أن تضيق عليك الارض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما قال تعالى فى الثلاثة الذين خلفوا ﴿ وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ » .

وقال ابن عطاء ، التوبة توبتان ، توبة الانابة ، وتوبة الاستجابة ، فتوبة الانابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبة الله تعالى وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه .

وباب التوبة مفتوح دائما ، يدخل منه كل من استيقظ ضميره وأراد العودة والمآب لا يصد عنه قاصد ، ولا يغلق فى وجه لاجئ ـ جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال له : « أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة ؟ فقال أأسلمت ؟ قال نعم ـ قال ﷺ فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها ، قال وغدراتى وفجراتى ؟ قال نعم ـ فما زال الرجل يكبر حتى توارى » .

كما تدين تدان

قال الهادى البشير صلوات الله وتسليماته عليه :
البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان .
أيها المؤمنون الاحبة ، سلام الله تعالى عليكم ورحمته وبركاته .

من تفكر فى عواقب الدنيا ، أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ومن قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ، ومن ادعى الصبر ، وكل إلى نفسه .

ومن سره أن تدوم له العافية ، فليتق الله عز وجل .

ومن زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة .

وفى هذا الحديث الجامع يبين لنا المبعوث رحمة للعالمين عليه من الله الصلوات والتسليمات ، أن اعمال الخير لا تفنى ولا تبلى بل انها تزيد عند الله وتتضاعف :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

« وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

فأعمال الخير مسجلة عند الله عز وجل فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة .

والذنب لا ينسى ، وهذا إذا لم تعقبه توبة نصوح ، فإذا تاب العبد تاب الله عليه ، وأنسى الحفظة ذنوبه .

يقول الله عز وجل : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ .

« والديان لا يموت ، فهو الحى القائم على كل نفس بما كسبت ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وأن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

يقول ابو سليمان الدارنى :

من صفا صفى له ، ومن كدر كدر عليه ، ومن احسن فى ليله كوفئ فى نهاره ، ومن احسن فى نهاره كوفئ فى ليله . ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤنتها ، والله عز وجل اكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة لأجله .

ومن ارتكب معصية وجب أن يفزع إلى الله بالندم ، فالندم توبة .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

احكم آية فى القرآن هى قول الله عز وجل :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ . صدق الله العظيم

﴿ وألوا استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ﴾

تحذير نبوى

روى عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال « اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ، ويمحق الاجر » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ .

يعلمنا النبى الكريم ﷺ فى الحديث الشريف احدى صفات الكمال الخلقى ، والسلوك الحميد ، ليسير عليه الناس فى مجتمعهم ، مجتمع هو خير امة اخرجت للناس .

وقد رأينا ايها الاخوة كيف أن القرآن والسنة حاربا الفقر والعوز بنشر الوعى العملى ، والدعوة إلى الكفاح المتواصل ونبذ الاتكالية والتبطل .

والثروات تنمو من القليل وتتكاثر من ضئيل ، وبالحق والمثابرة والعزم والجهد يحقق المرء ما تهفو اليه نفسه ، والشرع لا يمانع ما دام فى حدود ما احل الله .

أما المعدمون والمرضى والمساكين فلهم حق مقرر فى مال اخوانهم ممن انعم الله عليهم ، ولهم بعد ذلك ان يتصدقوا وأن يبذلوا كما يشاءون .

ويقـول النبى ﷺ فى حديثـه تربية للأغنيـاء ، وحفظا لكـرامة الفقراء ، فلا يحق لمن صنع معروفا أو فعل احسانا أن يمن بعمله.

والمعروف فى أى لون من الوانه ، بالكلمة ، أو بالعمل نؤديه لمن يحتاج اليه ، أو بالعطاء والبذل أو بأى وجه من وجوهه .

فلا يـحق لصانع مـعروف أن يمن به ، فـإن ذلك يبطل الشكر والثناء ويمحق الاجر عند الله تعالى .

ومن مأثور القـول ـ إذا صنعت المعروف فاسـتره ، وإذا صنع اليك فاشكره ـ وقال دعبل الخزاعى .

إذا انتفعوا اعلنـوا آمـرهـم   وإن انعموا انعموا باكتتام

على هذا كان الـعرب فى مكارم اخلاقـهم ، وحميـد شيـمهم ، وجميل سلوكهم ـ قال سـهل بن هارون :

خل إذا ماجئته يوما لتسـأله   أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفى صنائعه والله يظهرها   إن الجميـل إذا اخفيته ظهـرا

وقال العباس بن عبد المطلب ، لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال ، تعجـيله وتصغيره وسـتره ، فإذا اعـجلته هنيته ، وإذا صـغرته عظمته ، وإذا سترته وفيته .

ولقد دعـا القرآن الـحكيم إلى اداء المعـروف دون ذكر له وأدائه دون انتظار ثناء ، وإنما يفـعل الخـير لأنه امـر رب الخيـر ، فهـو واهبه فى الاصل ومثيب عليه فى النهاية .

فمن قيم صنيعه فقد اهدره ، فلا شكر له ، ولاثواب عليه ـ قال تعـالى : ﴿ يا ايهـا الذين امنوا لا تبطلوا صـدقـاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ...﴾

فالمؤمن الصادق فى إيمانه يقدم مـا يستطيع أن يقدم من خـ وإحسان طاعة لله ـ وامـتثالا لتعاليمـه ، وتصديقا لرسول الله ﷺ وعملا بسنته واقتداء به ، وسيرا على نهجه واتباعا لهدى النبوة

الإسلام يكرم الأم

روى البخارى عن ابى قتادة قال : خرج علينا النبى ﷺ يحمل امامه بنت ابى العاص - وهى ابنة زينب بنت رسول الله ﷺ - وهى صبية . فقام فصلى وهى على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها إلى عاتقه إذا قام .

كما كان ﷺ يوصى الابناء برعاية امهاتهم والبر بهن ويدعوهم إلى اكرامهن واعزازهن ومن ذلك بقوله : « إن الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب » .

وليس اعظم من تكريمه عليه الصلاة والسلام للأم من قوله « الجنة تحت اقدام الامهات » .

وقد كان هو قدوة المؤمنين فى ذلك . فيقول عبد الله بن مسعود : خرج النبى ﷺ وخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر ، امرنا فجلسنا ثم تخطى القبورحتى انتهى إلى قبر منها فجلس اليه فناجاه طويلا ثم ارتفع صوته ينتحب باكيا فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم إن رسول الله اقبل الينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ما الذى ابكاك يا رسول الله فقد ابكانا وافزعنا فاخذ

بيد عمر ثم اومأ الينا فاتيناه فقال :

« افزعكم بكائى ؟ » قلنا : نعم يا رسول الله ـ فقال : « إن القبر الذى رأيتمونى اناجيه قبر امى آمنة بنت وهب وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى » .

كما كان ﷺ ابر الازواج بزوجاته فقد روى عنه أنه كان يتسابق مع زوجه عائشة رضى الله عنها خارج المدينة كما كانت تقف وراءه تشاهد الالعاب يوم العيد ويسترها بذراعيه . وكان ذلك منه تعليما لصحابته والمسلمين من بعده . فقد علمهم ان خيار المسلمين خيارهم لنسائهم يقول الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ .

ولم تقتصر وصايا النبى ﷺ بالنساء على الأهل فقط بل انه حكم عام يشمل الانثى على وجه الاطلاق .

فقد روى ان جارية ذهبت بقطيع من الغنم فعدا الذئب على واحدة منها فأكلها فشرع مولى الجارية بضربها ثم انتهى امره إلى رسول الله ﷺ فغضب وقال للرجل « وما عسى الصبية أن تفعل بالذئب ؟ » وما زال يكررها ثم قال : « إن خدمكم اخوانكم جعل الله لكم الولاية عليهم » فلم يجد الرجل فى موقفه إلا أن يعتق الجارية .

تلك وصايا النبى ﷺ بالمرأة أما وزوجة وبنتا وجارية . تجمع بين البر والرحمة والوفاء وتقرر لها مكانة وعزة وكرامة . وتوازن بين حقوقها وحقوق الرجل وجماع ذلك قول الله تعالى :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ .

حق الأم

قال رسول الله ﷺ « الجنة تحت أقدام الأمهات ».
يؤكد المصطفى الهادى صلوات الله وسلامه عليه ضرورة البر بالأم ، لأنها هى التى حملت وتحملت آلام الحمل ومشقته ، ثم وضعت وتحملت آلام الوضع وشدائده ثم أرضعت وسهرت وبذلت من جهدها وجسدها الكثير لتغذى طفلها حتى يكبر ويترعرع .

فما يكون الجزاء أقل من البر بها ، والحق سبحانه وتعالى يقول ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾ (لقمان).

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . وقل رب ارحمها كما ربيانى صغيرا ﴾ (الاسراء) .

هكذا يتنزل الامر الالهى بالاحسان بالوالدين ، يرا بهما ،

وعطفا عليهما ورعاية لهما في وقت يحتاجان فيه إلى الرعاية والعطف .

ويروى أن رجلا جاء إلى الرسول الأمين ﷺ فقال : يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي ؟ قال امك قال ثم من ؟ قال امك قال ثم من ؟ قال امك قال ثم من ؟ قال أبوك » .

هكذا كرر الأم ثلاث مرات وذكر الأب مرة واحدة ، لرفيع منزلتها وجلال قدرها ، وجزاء لها على ما لاقت من شدة ومرض، وعنت ومشقة وضعف وارهاق ، كل ذلك فى سبيل الابناء .

فالأم هى التى تضفى الحنان على الصغير وترضعه وتلاغيه ، وترعاه وتواليه حتى يشب عن الطوق ، ثم يكبر وينمو مشمولا برعايتها ملاحظا بشفقتهاوعنايتها .

والأم عماد البيت وأساسه ، إن كانت صالحة أنشأت أسرة صالحة نافعة ولذا وجب الاهتمام بتربية الفتاة التى هى ام المستقبل ، ومنشئة الاجيال يقول شوقى رحمه الله :

والام مدرسة إذا اعددتها اعددت شعبا طيب الاعراق

وتاريخنا الإسلامى يزخر بأمهات مثاليات كتبت لهن صفحات خالدات تنير للأمهات إلى يوم القيامة طريق الحياة النافعة الطيبة ، أولهن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن ، وسيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وأسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنها وغيرهن كثيرات .

ولقد روى أن المصطفى الهادى صلوات الله وسلامه عليه مر على قبر أمه يوما فبكى حتى أبكى من حوله حنانا منه وبرا وعبرة .

وجعل رضوان الله تعالى تحت أقدام الأمهات ، فمن أراد أن

يدخل الجنة وينعم فيها برضوان الله ، فليضع نفسه تحت اقدام امه ، يخدمها اذا ضعفت ويساندها اذا عجزت ويعينها اذا احتاجت، ويبرها ويقف بجانبها فى أعز مخلوق لديه ، واحبهم اليه واشفقهم عليه ، والابن البار ينعم بعطف امه حتى يسدد بعض ما سلف ، فهى التى احسنت إليه واضنت نفسها حتى صار شابا ثم رجلا ، أو شابة ثم امرأة ، وما أجمل مجتمع الإسلام ، يزرع الوفاء بين ابنائه ، فيعرف الصغير للكبير قدره ويؤدى إليه حقه .

أهل الذكر

عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو اعلم ما يقول عبادى ـ قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأونى قال فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيدا وأكثر لك تسبيحا فيقول فيما يسألون ؟ قال يقولون يسألونك الجنة ـ قال يقول وهل رأوها قال يقولون لو انهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون ـ قال يتعوذون من النار .

قال فيقول وهل رأوها ـ قال يقولون لا والله ما رأوها ، فيقول فكيف لو رأوها ـ قال يقولون لو رأوها كانوا اشد منها فرارا وأشد لها مخافة ـ قال فيقول فاشهدكم انى قد غفرت لهم ، قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، إنماجاء لحاجة ـ قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم .

أيها المؤمنون ، يدلنا هذا الحديث المبارك على فضل مجالس الذكر وندوات القرآن ، حلقات العلم ، ودروس الفقه ، والذكر المقصود فى هذا الحديث الطيب يشمل كما قال العلماء الصلاة وقراءة القرآن والدعاء ، وتلاوة الحديث ، ودراسة العلم ومناظرة العلماء ، ومجالس التسبيح والتكبير ، وهذه كلها تغشاها الملائكة، وتحفها الرحمات ، وتعمها البركات ، وتتنزل على المنتظمين فيها انوار الهدى ، ويخصهم رب العزة سبحانه وتعالى باسرار كثيرة، تجعل حياتهم خيرا ، ومماتهم خيرا وهذه المجالس تجلى الارواح، وتضئ القلوب ، وتصقل النفوس وتنير العقول ، وتفتح البصائر والافهام ، والمنتظمون فيها يجدون لها لذة لا تمارى ، ووجدانا لا يجارى ، وحلاوة وطلاوة تتنزل عليهم السكينة ، وتعمهم الطاف الله ، وهم يعتبرونها حمامات يغسلون فيها ارواحهم ، بصفة دورية فى كل يوم أو كل اسبوع أو كل شهر وهكذا .

ومن يجالس هؤلاء القوم ، لا تناله شقاوة ، ولا تنتابه تعاسة كيف وهو يعيش تلك اللحظات مع الله رب العالمين ، الذى يملك الكون وما فيه ، يسالونه الجنة ، ويعوذون به من النار ، فيستجيب الدعاء ويحقق الرجاء ، وتبشرهم الملائكة ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

حق الجار

روى الامام احمد قال حدثنا يزيد عن هشام عن حفصة عن ابى العالية عن رجل من الانصار قال : خرجت مع اهلى أريد النبى ﷺ وإذا به قائم ، وإذا رجل مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة فجلست ، فوالله لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثى له من طول القيام ثم انصرف ، فقمت اليه فقلت يا رسول الله ، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام ، قال اتدرى من هذا ؟ قلت لا. قال هذا جبريل « عليه السلام » مازال يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه ـ أما انك لو سلمت عليه لرد عليك السلام .

لقد شرع رسول الله ﷺ لكل عضو فى المجتمع الإسلامى حقوقا له ، وواجبات عليه بمقتضاها يعيش المجتمع فى امان ومودة ويسوده سلام ومحبة .

وقد قرر سيدنا رسول الله ﷺ للجوار حقوقا ، على اعتبار أن الجار هو اقرب الناس إلى المرء بعد أهله .

وليست حقوق الجار كما قد يتبادر إلى الذهن ، هى الصحبة الحسنة أو الألفة الطيبة فحسب .

إنما تصل إلى أبعد من ذلك مما لو عمل بها الناس لعمت الالفة والرحمة والسلام العالم أجمع .

فالنبى ﷺ يقول فى حديث شريف « اتدرون ما حق الجار ؟ ـ إن استعان بك اعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك اقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته وإن اصابه خير هنأته ، وإن اصابته مصيبة عزيته ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه نقتار قدرك إلا أن تغرف له منها .

وجعل رسول الله ﷺ لجار الصالح من سعادة المرء عن سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اربع من السعادة ، المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنئ » .

ولا غرو فى هذا ، فهو أول من يشعر بجاره ، يؤازره ويؤاخيه، ويناصحه ويواسيه ، ويشاركه شعوره ويقول عليه افضل الصلوات واتم التسليمات « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

ودعا صلوات الله وسلامه عليه إلي أن يكف الجار أذاه عن جاره بل نفى عن الجار المؤذى ايمانه .

عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ـ قيل من يا رسول الله قال الذى لا يامن جاره بوائقه » أى غشمه وظلمه وأذاه .

وروى البزار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «الجيران ثلاثة ـ جار له حق واحد ، وهو ادنى الجيران حقا ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو افضل الجيران حقا ،

فـأما الجـار الذى له حق واحد فـجـار مشـرك لارحـم له ، له حق الجوار ـ وأمـا الجار الذى له حـقان مسلم لـه حق الإسلام وحق الجوار وأمـا الذى له ثلاثة حقـوق ، فجار مـسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم » .

بسم الله الرحمن الرحـيم ﴿ واعبدوا الله ولا تشـركوا به شيـئا وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجـار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبـيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ (النسـاء)

أثر الوضوء

قال رسول الله ﷺ .. إذا توضأ العبد خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره .

يحثنا رسول الله ﷺ على الوضوء ، فإن الإسلام دين النظافة ودين الطهارة ، وانظر يا اخى تجد أن الرسول ﷺ يدعو لهذا الدين اول ما يدعو فى الجزيرة العربية والماء فيها له قيمة عظيمة ، ومع هذا يأمر بالوضوء قبل الصلاة ويبشر المصلين بأنهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء وقد روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه أن المصطفى الهادى ﷺ قال « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل » .

وروى انه ﷺ توضأ ثلاثا وقال « من زاد فقد ظلم وأساء » ويشبه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه العبد بوعاء ملىء بالخطايا والذنوب ، فإذا حل به ماء الوضوء ، طردت الخطايا وخرجت من فجوات جسمه حتى تخرج من تحت اظفاره .

ويجلس المرء للوضوء تجاه القبلة ، ويقول العبد بسم الله الرحمن الرحيم لان النبى ﷺ قال « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى » أى لا وضوء كامل .

ثم يقول : « أعـوذ بك من همزات الشيـاطين وأعوذ بك رب أن يحضـرون » ثم يغسل يديه ثلاثا ويقول : اللهم انى اسـألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة .

ثم يتـمضـمض ثلاثا ويغرغـر ويقـول : اللهم اعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكـر لك ثم يستنشق ثلاثا ويقول » اللهم اوجد لى رائحـة الجنة وأنت عنى راض » ثم يسـتنثـر ويقـول « اللهم انى اعـوذ بك من روائح النار ومن سـوء الدار ... ثم يغـسل الوجـه ويقول .. اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبـيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهـى بظلماتك يوم تسود وجوه أعـدائك ، ثم يغسل يديه إلى المرفقـين ويبدأ باليمنى ويقـول « اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسـبنى حسابـا يسيرا » ويغـسل الشمال ويقـول « اللهم انى اعوذ بك ان تعطينى كـتابى بشمالى أو من وراء ظهـرى ثم يمسح رأسـه ويقول .. اللـهم غشنى برحـمـتك وانزل على من بركـاتك واظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك .

ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهـما ويقول .. اللهم اجعلنى من الذين يستـمعون القـول فيتبـعون أحسنه ، اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الابرار .. ثم يمـسح رقبـته بماء جـديد لقوله ﷺ مـسح الرقبة امـان من الغل يوم القيامة .. ويقول « الـلهم فك رقبتى من النار واعوذ بك من السـلاسل والاغلال .. ثم يغسـل رجله اليمنى ثلاثا ويقـول « اللهم ثبت قدمى على الصـراط المستقـيم يوم تزل الاقدام فى الـنار » وعند غسل اليـسرى يقول « اعـوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل اقدام المنافـقين » فإذا فرغ رفـع رأسـه إلى السماء وقال « أشـهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشـهد ان محـمدا عبده ورسـوله سبحانك اللهم وبحـمدك ، لا إله إلا انت عملت سوءا وظلمت نفسى ، استغفرك اللهم واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك انت الـتواب الرحـيم ، اللـهم اجـعلنى من التـوابين

واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة وأصيلا .

والرسول ﷺ يقول « ألا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات - اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة .. فذلكم الرباط - ثلاث مرات » وقال عمر رضى الله عنه .. إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان .

وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فإن الارواح تبعث على ما قبضت عليه .

يوم الجمعة

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة ، وفيه اخرج منها » وزاد الامام مسلم فى رواية « ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » .

يبين النبى الكريم ﷺ فضل يوم الجمعة على بقية ايام الاسبوع لما وقع فيه من الامور العظام وما سيقع ليتأهب العبد له بعمل صالح حتى ينال رحمة ربه عز وجل .

وفضل يوم الجمعة لما فيه من صلاة اسبوعية جامعة ، هى بمثابة مؤتمر اسبوعى يتدارس فيه المسلمون شئونهم وحياتهم ويحلون فيه مشاكلهم وما يعن لهم من امور الدنيا والآخرة .

ولقد حث رسول الله ﷺ على الحفاظ على هذه الصلاة والتأهب لها واحاطتها بما تستحقه من القداسة والتبجيل .

قال عليه افضل الصلاة وأتم السلام . من توضأ فاحسن الوضوء ثم أتى الجمعة ، فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ، ومن مس الحصى فقد لغى .

والمقصود بمس الحصى العبث ـ فالنبى ﷺ يحض على اقبال

القلب والروح على الصلاة وشعائرها .

وقال ﷺ « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » .

وأحاديث كثيرة تدل على فضل يوم الجمعة ، وما تنزل فيه من رحمات وبركات تشمل الناس وتعم العباد ، فهى بعكس ما يشيع أعداء الدين ، وأعداء الإسلام ، فكل اليوم مبارك ، وهو يوم مغفرة ورحمة .

وذكر رسول الله ﷺ أن فى يوم الجمعة ساعة اجابة يجاب فيها الدعاء تفضلا من رب العزة سبحانه وتعالى وتكريما .

فعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال « فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها » أى يبين انها لحظة خفيفة لطيفة .

فعن ابى بردة بن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه اسمعت اباك يحدث عن رسول الله فى شأن ساعة الجمعة قال قلت نعم سمعته يقول - سمعت رسول الله ﷺ يقول هى ما بين أن يجلس الامام إلى أن تقضى الصلاة .

فيا اخوة الإيمان ، تحروا نصوص دينكم وحافظوا عليها حتى لا يفسدها عليكم شياطين الانس والجن - وفقنا الله جميعا ، حتى نسير على كتاب الله وعلى هدى النبوة .

المرأة فى الإسلام

روى الإمــام مسلم أن النبى ﷺ قــال: الله الله فى النســاء فــإنهن عـوان فى أيديكم ـ يـعنى اسـراء ـ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

بهـذا الحـديث يوصـيـنا رسـول الله ﷺ بحـسن معاملة الـنساء ويعتبرهن امـانة فى اعناق الرجال .

فـقد وضـع الإسـلام المرأة فى الاسـرة فى اعـز مكان ، وأحاطهـا بالعناية والرعـاية . فـهى شـقيـقـة الرجل يقـول النبى ﷺ « إنما النساء شقائق الرجال » .

· وقـد اعطى الإسلام للزوجـة عند زواجهـا حق الصداق يقـول تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ كما يعطيها أثناء الحياة الزوجيـة حق النفـقة ويعطيـها بعـد الطلاق أو وفاة زوجـها حق النفقة. يقول الله تعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف ﴾ .

وللزوجة على زوجهـا حسن المعاملة لها واحتـمال الاذى منها والحلم عند طيشـها وغـضـبهـا قـال الله تعـالى ﴿ وعاشـروهن بالمعروف ﴾ فقد كـانت زوجات النبى ﷺ تراجعنه الكلام ويروى أن امرأة عمـر بن الخطاب رضى الله عنه راجعته يوما فـقال لها : اتراجعينني يالكعاء ؟ فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو

خير منك .

ومن حق الزوجة على زوجها أن ينفق عليها في اعتدال فلا يقتر فيحرمها ، ولا يسرف فيبطرها . يقول الله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وأن يكون اطعامه لها من حلال ومن حقها عليه أن يعفها وأن لا يوردها موارد الفتنة وأن لا يدخل عليها الرجال وأن لا يؤذيها بالقول ، ولا يدمي لها جسما ، ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه ، قيل لرسول الله ﷺ ما حق المرأة على الرجل ؟ قال « يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يقبح الوجه ، ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا فى المبيت » .

وإذا كان للزوج زوجة اخرى فمن حق كل منهما أن يعدل الزوج بينهما فى العطاء والمبيت . فإذا لم يستطع العدل امتنع عليه الزواج بأخرى يقول الله تعالى ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ .

ويقول رسول الله ﷺ « من كان له امرأتان فمال إلى احداهما دون الاخرى ، ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل» .

ومن حق الزوجة على زوجها لطف المعاملة ولين الحديث ، فقد كان رسول الله ﷺ يخرج مع زوجاته حتى روى انه ﷺ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام « هذه بتلك » ومن اقواله ﷺ « اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم بأهله » .

ومن حق الزوجة على زوجها الوفاء لها وعدم التنكر لها إذا ما اصابها اذى أوجد ما يزهده فيها . ويروى أن خولة بنت ثعلبة قال لها زوجها انت على كظهر امى . فذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو له وتقول إن أوس بن الصامت تزوجنى وانا شابة مرغوب فى

فلما خلا سنى ونثرت بطنى جعلنى عليه كأمه وتركنى فإن كنت تجد لى رخصة يا رسول الله تنعشنى بها واياه فحدثنى بها .
وبعد نقاش بينهما نزل قول الله تعالى ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ﴾ .

وهكذا رد الله للزوجة اعتبارها عند نفسها كإنسان كرمه الله بعد أن استخف بها زوجها وعرضها للضياع . فاستجاب الله لها وطيب خاطرها وأنزل العقوبة الرادعة بمن جار عليها .

صدقة اللسان

قال رسول الله ﷺ « ما من صدقة افضل من صدقة اللسان » قيل وكيف ذلك ، قال « الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر » .

ذلك أن الكلمة الطيبة صدقة فهى تريح النفس وتجلب الود وتزيل الغضب وتؤلف القلب وتنزع الحقد وتطفى الغل. أما كلمة السوء فتحلب البغض وتثير الضغن وتفسد العشرة وتزيل الالفة يقول الله تعالى ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ .. ويقول النبى ﷺ « كيف ترون من يسب ابويه ؟ » فقالوا وهل من آحد يسب أبويه ؟ قال « نعم يسب ابوى غيره فيسبون ابويه » وهكذا تقود الكلمة السيئة إلى الشر بل تقود إلى النار ، ويقول النبى ﷺ وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد السنتهم » .

ومن صدقة اللسان الشفاعة وهى لا تكون إلا فيما فيه الخير ومصلحة للناس فلا تكون فيما فيه ايذاء أو اجبار أو ظلم لأحد .

روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأنى انظر اليه خلفهما وهو يبكى ودموعه

تسيل على لحيته . فقال ﷺ للعباس « ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له ؟ » فقال ﷺ « لو راجعته فانه أبو ولدك » فقالت : يا رسول الله اتأمرني ؟ فقال « لا انما انا شافع ».

ومن صدقة اللسان البدء بالسلام يقول انس رضى الله عنه : خدمت النبي ﷺ ثماني حجج فقال لى « يا أنس ؟ أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من امتى تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك »وفى ذلك دعوة إلى اشاعة السلام بين الناس لربط أواصر المودة بينهم ، والمصافحة سنة مع السلام وقد كان انس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم ويروى عن رسول الله ﷺ انه فعل ذلك .

ويقول الله تعالى ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ﴾ .

وكفى قدرا للسلام أن يكون بداية اللقاء بين رب العزة سبحانه ونبيه الكريم ليلة عرج به فيقول النبى ﷺ التحيات لله والصلوات والطيبات فيرد الحق جل وعلا . السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فيقول النبى الأمين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم تكون هذه التحيات ركنا فى كل صلاة .

أقرب الناس إلى الرسول

يروى الترمذى انه ﷺ قال « ألا اخبركم باحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ، احاسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون ، ويقول ﷺ « الا اخبركم بشراركم ـ قالوا بلى ـ قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ـ ألا اخبركم بشر من ذلكم ؟ ـ من لا يقيل عثرة ، ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ـ ألا اخبركم بشر من ذلك ـ من يبغض الناس ويبغضونه .

أما تواضعه الجم فهو مضرب المثل ـ جاء فى سنن « ابو داود عن ابن عباس أن النبى ﷺ طاف بالبيت ، ثم اتى السقايا فقال اسقونى ، فقال له ابن عباس : ألا نخوص لك سويقا « وهو دقيق ناعم يخلط بالماء » فإن هذا يتناول منه الناس فقال ﷺ اسقونى مما يشرب منه الناس .. وكلكم تعرفون موقفه من ذلك الاعرابى الذى ارتعد عندما رآه فقال له ﷺ « هون عليك إنما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة » .

ولقد قال المصطفى ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وقد بلغه انقطاعه للعبادة ، ألم اخبر انك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قال انى لم افعل ذلك فقال رسول الله ﷺ فإنك إن فعلت

ذلك هجمت عينك ، ونفهت نفسك ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فصم وافطر وقم ونم .

ولقد أتى حبيب بن الحارث النبى ﷺ فقال يا رسول الله انى مقراف للذنوب ، فقال الرسول الكريم ﷺ « كلما اذنبت فتبت » قال ثم اعود قال « ثم تب » قال اذن نكثر قال « عفو الله اكبر من ذنوبك » .

وجاءت أحاديث النبى ﷺ تمثل منهجا قويما فى دعوة الناس إلى التماس معالى الأمور ، وترفعهم عن سفسافها ، جاء إليه يوما رجل فساله بم تامرنى أن أتجر ؟ قال عليك بالبز فإن صاحب البز يعجبه أن يكون الناس بخير وفى خصب .. « فالبز هو الثياب اللينة من الكتان أو القطن » لأنه ﷺ يدرك أنه كلما كثرت المكاسب كان نصيب الفرد أكثر وأوفر ويروى عنه ﷺ انه كان يحب الطيب وكان يقول « من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة » .

فهل جاءت المدنية الحديثة فى تربية الازواق ، وتهذيب الطباع، وفى التمتع بطيبات الحياة والاقتطاف من كريم ثمارها هل جاءت بما يوازى ما ورد فى سنة النبى ﷺ لقد جعل الإسلام تلك الدعوة شعيرة من شعائر الدين بحيث يجب على المسلم الوفاء بها على المكره والمنشط .

لقد جاءت السنة المطهرة لتقييم المجتمع الإسلامى على اسس وطيدة من العدل والمساواة والمودة والاخوة وسائر القيم ، مما لا تكاد تجده الانسانية حتى فى مجتمع الأسرة الواحدة .

منزلة المدينة المنورة

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « لكل نبى حرمة ، وحرمى المدينة ، اللهم انى احرمها بحرمك ألا يؤوى فيها محدث ولا يختلى خلاها ، ولا يعضد شوكها ولا تؤخذ لقطها إلا لمنشد »

مدينة يثرب . المدينة المنورة . مهجر رسول الله ﷺ والتى شرفت بهجرته اليها ، وصارت موطنا وموئلا آمنا لأولياء الله وعباده الصالحين ، وحصنا منيعا للمسلمين ، ومنارة هدى للعالمين . هذه المدينة مقدسة ، ولها حرمتها عند الله وعند رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فإنها حرم رسول الله المحرمة بحرم الله ، ومن مقتضيات هذه الحرمة ألا يؤوى فيها محدث لما يؤدى اليه ذلك من تعكير صفوها ، وتكدير امنها ، ربما جر ذلك إلى القتل والقتال وسفك الدماء فيها ، وهى اصلا لايجوز لمسلم أن يحدث فيها حدثا أو يؤوى من احدث حدثا ، وإلا فقد باء بغضب الله وملائكته وعباده ولعنتهم

لهذا الحديث ولأحاديث إخرى كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام « المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور ، من احدث فيها

حدثا أو آوى محـدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجـمعين ، لا يقبل منه عـدل ولا صرف » وإذا كان الحـدث أو ايواء المحدث فى مـدينة الرسول عليـه الصـلاة والسـلام مـحـرما ، فكذلك خـلاها وأشجارهـا وشوكها إلا لحـاجة ، وكذلك لقطتهـا ، واللقطة هـى ما يفقده الإنسـان فينشده ويبحث عنه ، حول هـذا المعنى أيضا يقول على بن ابى طالب كرم الله وجهه حينما سئل : هل عهد اليه رسول الله صلوات الله وسـلامه عليـه لشئ خـاص يقول : مـا عهـد إلى رسول الله ﷺ شيئـا خاصة دون الناس إلا شيئا سمعـته منه فهو فى صـحيفـة فى قراب سيفى فلم يزالوا به حتى اخرج الصـحيفة فإذا هى تتحـدث عن حرمة المدينة ، وفيهـا : « من احدث حدثا أو آوى محدثا فـعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعـين لا يقبل منه صـرف ولا عـدل » . وإذا فيـهـا : « إن ابراهيم حـرم مكة ، وإنى احرم المدينة ، حرم ما بين حريتها ، وحماها كله ، لايختلى خلاها، ولا ينفر صيـدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن إشـار بها ، ولا نقطع منهـا شجرة إلا أن يعـلف رجل بعيـره ، ولا يحمل فـيها الـسلاح لقـتال » وليـست هذه فـقط هى خـصوصـيـات المدينة . بل هناك خصـوصيات اخـرى . منها حب اهلها انصـار رسول الله ذلك لأن حبـهم دليل الايمان ، وبغضـهم آية النفاق ، ومن خـصوصيـاتها أيضا أن من خـرج منها رغبـة عنها ، أبدلهـا الله سبحـانه وتعالى خيرا منه ، كما أن أهل المدينة فى امان الله ، وفى رعايته وحراسته ، من أرادها بسوء ارداه الله سـبحـانه ، وأذابه ذوب الرصاص فى النار ، أو ذوب الملح فى الماء كـما أكـد على ذلك مولانا رسـول الله ﷺ ، وقد اعتـبر القرآن الكريم من خرج من مدينة الرسـول رغبة عنهـا مذافقا ، وفـى هذا الصدد يروى عن عـبدالرحمـن بن عوف

رضى الله عنه أن قوما أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وأصابهم وباء المدينة حماها فأكسوا فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا لهم ما لكم رجعتم ؟ قالوا : اصابنا وباء المدينة فاجتنبنا المدينة . فقالوا: أما لكم في رسول الله اسوة ، وقال البعض الآخر لم ينافقوا ، هم مسلمون ، فأنزل الله عز وجل ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ .

رقم الإيداع ٩٨/٢٧٩٠

الترقيم الدولى

I. S. B. N

977 - 08 - 0710 - 9

طبع بمطابع أخبار اليوم